

المجلد الخامس والثلاثون

الجزء الأول

مجلة

المجمع العلمي العربي

دمشق



كانون الثاني سنة ١٩٦٠ م

رجب سنة ١٣٧٩ هـ

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

انشرت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي } في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الأقطار ١٢٠٠ قرش سوري

تدفع مقدماً

الإبدال اللغوي

أو

الاشتقاق الكبير

إن الإبدال والقلب اللغويين هما ظاهرتان لغويتان من ظواهر التطور الصوتي ، وبحسب من أبحاث علم الأصوات اللغوية : ^(١) Phonétique الذي ألف فيه علماء الغرب كتباً جليلية ، وأنشئوا له معاهد ومخابر علمية خاصة ؛ ولم يقصّر من سلفنا الصالح للحياة فقهاء اللغة العربية ، فقد عرفوا كثيراً من أصوله وأسمازه ، وفيما اشتملت عليه حوايا كتب اللغة والاشتقاق والصرف والتجويد كثير من مبادئ علم الأصوات اللغوية منشورة ومنشورة فيها ، ومن تلك المبادئ والأسرار اللغوية بحث (الإبدال اللغوي) الذي سموه : الاشتقاق الكبير ، كما سموا بحث الصرف بالاشتقاق الصغير ، والقلب اللغوي بالاشتقاق الأكبر ، وكان العكس من الإنصاف وصدق التعبير : بأن يُنعت الإبدال اللغوي لظهورته بالاشتقاق الأكبر ، والقلب اللغوي بالـكبير .

كتب الإبدال وصُوِّفَها . - وجمع علماء العربية مثل الخليل بن أحمد وأبي عمرو بن العلاء ومن أخذ عنها كثيراً من ألفاظ لغتنا التي جاؤا بها من البدو وتسقطوها من أفواه الأعراب وصنفوها في رسائل خاصة ، وبينها كثير من ألفاظ الإبدال ؛ والخليل أول من اعتمد على ما جمع من ألفاظ اللغة ، وصنف

(١) ويقال له أيضاً Phonologie .

في المريضة كتاب المين المشهور ، فكان قدوةً لمن تبعه من أصحاب المعاجم وكتب اللغة والنوادر والقلب والإبدال ، ومن كتب الإبدال المعروفة : إبدال أبي سعيد عبد الملك بن قُرب الأصمعي ، وأبي يوسف يعقوب بن السكيت الذي أخذ عنه أبو عمر الزاهد صاحب اليونيات والمعروف بفلام ثعلب ، وعن أبي عمر هذا أخذ أبو الطيب اللغوي عبد الواحد بن علي الحلبي صاحب الإبدال الذي ينشره اليوم بمجمنا العربي ، فقد جمع في إبداله ألفاظ من سبقه في جمع ألفاظ الإبدال ، وزاد عليهم كثيراً من النظائر المتعاقبة ؛ ومن كتب النوادر التي اشتملت على هذه النظائر : نوادر الأصمعي وأبي زيد الأنصاري وابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني وأبي مسجل عبد الوهاب بن حريش^(١) وغيرها من نوادر اللغة ، وينقل لنا أبو الطيب اللغوي في إبداله كثيراً من ألفاظ الإبدال عن اللحياني وأبي عبيدة ، والجري وقطرب ، والفراء واليزبدي ، وأبي مالك عمرو بن كركرة ، وكراع والأموي وغيره ، وفي حواشيه كثير من هذه الألفاظ بخط شيخ صاحب اللسان الراوية الحافظ رضي الدين الشاطبي ، وبعض هذه الألفاظ من حواشي الإمام ابن بري ؛

وهناك أقوال في الإبدال ، وأبواب معقودة للنوادر في آخر كتاب الجهرة لابن دُرَيْد ، وفي الفريب المصنف لأبي عبيد ، وفي أمالي القاضي أبواب لأنواع من الإبدال اللغوي ، وفي شرح شواهد الشافية للبغدادي كثير من ضروبه ، كما أنه في الجزء الأول من الخصائص ، وفي ابن جنّي على تصرف المازني كلام مفيد في الإعلال والقلب والإبدال ، وفي الجزء الأول من المزهرة للسيوطي أقوال منتقاة من الجهرة ، وشرح الفصيح للبطليني ، ومن أمالي ثعلب وديوان الأدب للفارابي وصحاح الجوهري وشرح التسهيل لأبي حيان .

(١) وقد ظهر الدكتور عزة حسن أمين المخطوطات الظاهرية بنسخة جميلة نادرة منه في الآستانة ونشرها بمنا المهدي قريباً .

وعن بحث وألف من المتأخرين والمعاصرين أحمد بن فارس عصره صاحب
 سر الليال في القلب والابدال ، وللاستاذ عبد الله أمين في كتابه الاشتقاق
 أبحاث لغوية عميقة في الابدال ومسوغاته^(١) ، ولشيخنا الطاهر الجزائري في كتابه
 التقريب لأصول التعريب مباحث عن الابدال واللغات ، وقد تكون هذه
 اللغات من أسباب الابدال ، أو تشويه الأصوات اللغوية ، فقد جاء في بغية
 الوعاة للسيوطي (٩٧) أن الركن محمد بن محمد التونسي المعروف بابن القوابع
 النحوي كان يثغ بالراء همزة ، ونعلم أن واصل بن عطاء كان يثغ بالراء أيضاً
 وأنه كان يتجنبها لبلاغته في خطبه ، وكان عبيد الله بن محمد النحوي الموالي
 يثغ بالراء غينا كأهل باريس ، فقال له الفارسي : — ضع ذبابة القلم تحت
 لسانك لتدفعه بها ، وأكثر مع ذلك ترديد اللفظ بالراء ، ففعل فاستقام له
 اخراج الراء في مخرجها ، فهو بذلك يشبه ديموستين خليب اليونان الشهير
 الذي كان يردض لسانه بوضع حصاة تحته ويخطب أمواج البحر حتى قوّم
 ما عوج من لسانه وأصبح يسحر السامعين بحسن يئانه .

وقال أحمد فارس في سر الليال (٧٢) : ومن الغريب أني وجدت الغين
 متقلبة عن الراء في عندة الفاظ ، وهي عكس لغة باريس : فإنهم يثلبون
 الراء غينا !

ان التطور الصوتي قد يجري مترقياً أو متدنياً^(٢) ، وهذه اللغات بأنواعها
 من أسباب تشويه الأصوات العربية السوية وتدنيتها ، فقد يكون جد القبيلة ألتغ

(١) وللميد كلية الشريعة بدمشق صديقنا الاستاذ مجل المبارك كتاب ينشره اليوم في
 ثلثة الفة بحث فيه عن الابدال اللغوي بحثاً صحيحاً ، ويرافقنا على انه أم
 واللع من القلب واحق منه بام الاشتقاق الاكبر .
 (٢) متناك من أحوال التبدل الصوتي في اللغوية يبحث مستقل مفصل ونكتفي
 الآن بالإشارة اليه .

فيسمعه أولاده صفاراً فيكنسبون هذه اللفظة من أبيهم ، وقد يشكأثر أولاده وأحفاده ، ويعصبون كجدهم الشيخ شيوخاً أولي قوّة وعصبية قبلية متناصرة ، والرعية على دين رُعاتها أبداً ، وبذلك تنتشر هذه اللفظة أو الماهة التي فطروا عليها ، وبذلك قد تنشوء لغة القبيلة ، ويكون هذا التطور الصوتي البطيء ، من بواعث التبدل الصوتي ، ولأصراً ما كان الباريسيون يلفظون بالراء غيناً دون غيرهم من الفرنسيين ، وعرفت لفتحهم باللفظة الباريسية . وقد شعر أطباء اللغة متأهلاً بهذا المرض اللغوي (اللشغ) فحاربوه بقوة وعالجوه بما وضعوه من الكتب أو الرسائل في أصول النطق العربي القويم ، وقد اشتمل عليها علم التجويد : أي تجويد القرآن ، وتحسين النطق بها كما ينطق فصحاء العرب .

واللشغ : آفة لسانية يتحوّل بها اللسان من السين أو الصاد الى الثاء ، أو من الراء الى الغين أو اللام أو الياء ، أو من حرف الى حرف ، وقيل ان لا يتم رفع اللسان في الكلام وفيه ثقل ، والرثغ لغة فيه ، ويقال لهذه التحولات اللغات منها (الرثغة) ، والآرت الذي يجمل اللام ياءً ولا تكاد يكتبه تخرج من فيه ، و(اللكنة) عجمة في اللسان المطبوع عليها فتظهر في كلام الألكن فيقال فلان يرتضخ نكنة فارسية أو تركية فلا يقوى على إقامة العربية ، ومنها (اللشغ) والاليف الذي لا يبين حروف الكلام ويرجع كلامه الى الياء ، ومنها (الخنّة) وهي ضرب من (الفتنة) كأن الكلام يرجع الى الخياشيم ، و (الشمعة) كلام الذي تغلب على كلامه الثاء والعين ، ومنها الحُكلة والعقدة والحُبسة وغيرها من عيوب الكلام .

ومن هذه الكتب التي وضعت لتقويم اللسان بإخراج الحروف من مخارجها وبمقابلة اللغات ومحاربة إصلاحها : كتاب الارتضاء في الضاد والظاء لأبي حيان الأندلسي ، والمراد في كينية النطق بالضاد : لعيسى بن عبد العزيز اللخمي ،

ولكل من أحمد بن ابراهيم اللؤلؤي ، ومرجي بن كوثر المقرئ النحوي كتاب في الضاد والظاء ، ولا بن برهان صعيد بن المبارك كتاب الضاد والظاء ، وكتاب الفين والراء ، ولأبي البركات بن الأنباري كتاب زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء ، وهناك كتب أخرى لا مجال لسرد أسمائها ، وذكرنا هذه الكتب على ضيف المثال ، وإن بعض هذه العيوب اللسانية قد ينتقل بالوراثة من الآباء للأبناء كالتأناة والفأفة وهناك أمر في الشام بتوارث التأناة أبنائها المتتامون ، وقد كثر السنديون في العصر العباسي بالبصرة للعمل فيها فانتشرت لكتبتهم ورطاناتهم بين العرب : قال العباسي في شواهد التلخيص (٣١/١) : كان أبو عطاء السندي يرتضخ لكمة سندي فيجعل الجيم زايا ، والشين صينا ، والطاء والضاد دالا ، والعين همزة ، والحاء هاء فيقول : مرهبا ، هياكم الله ! ، ولا يزال أهل دير القمر في جنوبي لبنان يقولون : دَوّ القمر بدل ضوء القمر ، ولا بدري أحد كيف فسدت ضادم ، ولا الزمن الذي تم فيه هذا الفساد ، وقيل هي لغة ثقيف وهذبل ، وما بدريك أنهم ثقفيون .

واللغة إذا تفتت في قوم وانتقلت من جيل الى جيل ورسخت فيهم أصبحت لهجة أو لغة ، وقد تلبس على علماء اللغة فلا يدرون اللغة هي أم لغة ؟ فقد جاء في المزهري (٥٠٦/١) في باب (معرفة ما ورد بوجهين بحيث اذا قرأه الألف لا يعاب) قال السيوطي : والأصل في هذا النوع ما ذكره الثعالبي في فقه اللغة قال : أنا أستطرف قول الليث عن الخليل : الدقاق كالزقاق سمنا ذلك من بعضهم وما ندري لغة أو لغة ؟ وجاء في الصحاح : اللهمس لغة في اللحن أو همة (لغة) ، أقول : فان كانت لغة أو لكمة فاعلمنا سندي الاصل ، وقد مر بنا أن أبا عطاء السندي كان يقلب الحاء هاء ويقول : مرهبا !

وقد ينشأ القول بالابدال كالألف عن التصحيف واللكنة ، وربما لا يكون ابدالا ، فقد جاء في القاموس : الشقلع كالشعلع زنة ومعنى ، ثم قال المجد : أو

هذه تصحيف ، والصواب السَّمْعُ ، وكثيراً ما يقول علماء اللغة مثل هذا ، وقال محمد بن المكرم في لسانه (دشش) : الدش - اتخذ الدشيشة ، وهي لغة في الجشيشة ، قال الأزهري : ليست بلغة ولكنها لكنة ، فلو أن صاحب التهذيب ألف في الإبدال لأدخل (الدشيشة والجشيشة) في باب (الجيم والدال) من إبداله ، ولولا الأخذ بالحديث لتحقيق اللغة لما رجع الأزهري عن قوله في الدشيشة (ولكنها لكنة) ، فقد استشهد بعد ذلك على أنها لغة بقوله : وروي عن أبي الوليد بن طحفة الغفاري أن النبي (ﷺ) قال لخسة من أصحاب الصفة دعاهم إلى منزله : «انطلقوا» قال : فانطلقنا إلى بيت عائشة ، فقال : يا عائشة أطعمينا ، فجاءت بدشيشة فأكلنا . . .» ثم قال الأزهري : فدل هذا الحديث أن الدشيشة لغة في الجشيشة انتهى ؛ وكثيراً ما لا يتفق علماء اللغة الاطلاع على حديث صحيح يصحح آراءهم في نظائر الإبدال .

الإبدال ونوعاه . - إن الإبدال اللغوي نوعان : الأول (الإبدال النحوي أو الصرفي) وهو الذي يحدث مع حروف البديل الاثني عشر التي يجمعها قولك : (طال يوم أنجدته) فالطاء تبدل من التاء في افتعل إذا كانت بعد الضاد نحو (اضطَّعد) أصلها (اختهد) وزان افتعل ، ونحو (اعطبر) ، وبعد الظاء أيضاً في افتعل نحو (اظطلم) من الظلم ، وهكذا صائر حروف البديل الشامل كما لا يخفى .

قال أبو علي القالي في أماليه : (١٨٦/٢) : اللغويون يذهبون إلى أن جميع ما أمليناه إبدال - أي كدء ومث و قدء و قطاء ، وقضم وكدم - ولبس هو كذلك عند علماء أهل النحو ، وإنما حروف الإبدال عندهم اثنا عشر حرفاً^(١) :

(١) وابن سيده في محصه (٢٦٧/١٣) يحملها ثلاثة عشر : ثمانية من حروف الزيادة التي يجمعها قولك (اليوم تنساء) تسقط السين واللام من الحروف المشرة ، وخسة من فبرمن ...

تسعة من حروف الزوائد ، وثلاثة من غيرها ، وأما حروف البديل فيجمعها قولنا : (طال يوم أنجده) ، وهذا أنا عملناه .

تعريف الابدال اللغوي . - والنوع الثاني ، وهو موضوع بحثنا اللغوي ، ويراد به « إقامة حرف مقام حرف مع إبقاء صائر أحرف الكلمة » فنشترك الكلمتان بحرفين أو أكثر ، ويبدل حرف منها بحرف آخر يقاربه مخرجاً أو صفة نحو (قضب وقضم ، وفتح وقطم ، وقصب وقصف) مثلاً ، فقد اشترك الزوج الأول (قضب وقضم) بحرفين منها وهما القاف والضاد ، واختلفا بالياء والميم ، وقد ابدل أحدهما من الآخر ، وهما من مخرج واحد ، أي حرفان شفوويان . ثم إن حرف الابدال الثالث في الكلمات الثلاثية قد يكون فاء الفعل أو عينه أو لامه فمثاله وهو فاء الفعل (خبن وغبن) ، وعين الفعل (رسم ورشم) ، ولام الفعل (قضب وقضم) .

وقد تكون الكلمتان رباعيتين (كتوآج ودوآج) ، والبديل في الحرف الأول منهما ، والأحرف الثلاثة الأخرى باقية على حالها ؛ أو خماسيتين والبديل في الحرف الثاني مثلاً نحو (جرسام وجلسام) الذي تسميه العامة اليرسام ، ومثال الفعلين السداسيين : (امرنكس الليل واعلنكس) إذا أظلم ، ومثال الاسمين السداسيين : جرُبان السيف وجلبانه : قرابه ؛

وقد يكون هذا الإبدال أو التماثل بين الحروف المتقاربة في المخرج والصفات أو في أحدهما ناشئاً عن تطور صوتي في مراحل متوالية وأزمنة متعاقبة لأسباب لا يثبت في معرفتها ، وقد يكون التبادل الحرفي غير متعمد ، وسببه اختلاف القبائل المتكلمة بها ، قال أبو الطيب اللغوي في مقدمة كتابه الإبدال المشار إليه : ليس المراد بالابدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف ، وإنما

هي لغات مختلفة لمان متفقة : تتقارب اللفظان في لغتين لمعنى واحد ، حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد ؛ قال : والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مَهْمُوزة وطوراً غير مَهْمُوزة ، ولا بالصاد مرةً وبالسين أخرى ، وكذلك إبدال لام التعريف ميماً ، والهمزة المصدرية عيناً كقولهم في نحو أن (عَنْ) ، لا تشترك العرب في شيء من ذلك ، إنما يقول هذا قوم وذلك آخرون ؛

ولم يقتصر الإبدال على التسمير والنثر من كلام العرب فقد جاء في القرآن المبين والحديث أيضاً ، مما يدل على تمكنه من اللغة العربية ووقوعه في جميع طبقات البيان ، قال أحمد بن فارس في فقه اللغة : من صنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض : مدحه ومدهه ، وفرس رفل ورفن ، وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء ، فأما قوله تعالى : «فانطلق فكان كل فرق كالطود» فاللام والراء متعاقبات ، كما تقول العرب : فأتى الصبح وفرقه ؛ وذكر عن الخليل ولم أسمعه سماعاً أنه قال في قوله تعالى : «فجاسوا خلال الديار» إنما أراد : جاسوا ، فقامت الجيم مقام الحاء .

ومن فوائد الإبدال : أن معرفته قد تدفع الاتهام بالتصحيح ، وقد وقع ذلك لكثير من أئمة اللغة ، وبفضل اطلاعهم على أسرار الإبدال أحسنوا الدفاع عن أنفسهم ، فقد جاء في اللسان (عدف) ^(١) : قال أبو حسان سمعت أبا عمرو الشيباني يقول : ما ذقت عدوفاً ولا عدوفاً ، قال : وكنت عند يزيد بن مزيرد الشيباني فأنشدته بيت قيس بن زهير :

ومجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَدُوفاً يَظُنُّنَّ بِالْمَنَارَاتِ وَالْأَمْهَارِ
بالدال ، فقال لي يزيد : صحفت يا أبا عمرو ، إنما هي عدوفاً بالدال ،

(١) وانظر إبدال ابن السكيت ص ٤٥ ، قال صاحب اللسان : وهذا البيت في التهذيب منسوب إلى قيس بن زهير كما أورده ، وقد استشهد به ابن بري في أماليه ، ولبه إلى الربيع بن زياد .

قال فقلت له : لم أصحّف أنا ولا أنت ، تقول ربيعة هذا الحرف بالذال ،
وصائر العرب بالذال .

ومن فوائد الإبدال اللغوية أو الاشتقاق الكبير أنه قد ينتفع به في وضع
المصطلحات العلمية ، وذلك بتخصيص اللفظتين المتماثلتين لمسميين متشابهين في
العمل ، وبينهما علاقة معنوية مثال ذلك ما جاء في لسان العرب (ارث) قال :
والأرث والأرف : الحدود بين الأَرْضَيْن ، واحدهما : أرثة وأرفة ،
فيوز أن نضع (الأُرثة) لكلمة Borne أي المنار بين الأرضين المتجاورتين
دفعاً للنزاع بين الجارين ، و (الأرفة) للحد بين البلدين أو الدولتين ، وبلدة
(أرفة) اليوم وهي الرُّها قديماً ، واقعة بين إقليمنا الشامي وتركية مثلاً ؛
قال ابن سيده : وأرث الأرضين : جعل بينهما أرثة ، وقد وضع المعجم
الزراعي لصديقنا ورئيس مجعنا الأمير الشهابي كلمة (التاريف) مقابل Abornage
بالفرنسية ، ويراد بها وضع المنار بين الأرضين ، وجعل (التاريف) لما يقابل
(Cadastre) ، وفي طبيعة لغتنا العربية للجواهر مناجم تحتاج إليها المعاجم أبداً .
وجاء في كتاب الاشتقاق^(١) لعبد الله أمين (ص ٣٧٠) بعد أن بحث عن
الإبدال ، وضرب مثلاً لما يمكن أن ينتفع به في اشتقاق اسمين لمسميين
متشابهين في الشكل والعمل أو في أحدهما بقوله :

مثال ذلك : الفُمنة والفُمنة ، وهما بِنَ تَطْلِي به المرأة وجهها وبديهما
حتى تَرِقَ بَشَرَتِهَا . يمكن أن يسمى المسحوق الذي يَطْلِي به السيدات
وجوههن وأيديهن (غُمرَة)^(٢) ، والممجون الذي يستعمل استعماله : (غُمنة)
بإبدال النون من الراء لتقاربها مخرجاً وصفة ، انتهى . عز الدين التنوخي



- (١) من أمتع ما وضع في الاشتقاق ، وهو غير الصرف والنحو ، لأنه يبحث عن
أصول الكلمات وفروعها وصوغ بعضها من بعض ، ولله بحث عن الإبدال والقلب .
(٢) واليوم تسمى (بودرة) من Poudre ، والممجون (كريمة) من Crème الفرنسية
وهي القشدة .

العربية بين الفصحى والعامية

وكتاب رد العامي الى الفصحى

كان شيخنا وزميلنا في المجمع العلمي العربي : الأستاذ أحمد رضا قد وضع
قبيل انتقاله الى رحمة الله - كتابه «رد العامي الى الفصحى» وهو كتاب
قيم مفيد خدم به العربية خدمة جليلة ، وفق فيها نوبقاً مشكوراً .
وسبقت لنا كلمة في هذا الكتاب ، رأيت أن أتقل بمضها ، وأضيف إليها
مالاً يد منه ، مما يتصل بموضوعنا ، نزولاً عند رغبة من لا أرى لي مندوحة
عن اجابة طلبه .

وخليق بمن يهتمون بهذه العربية ، ويفارون عليها ، أن يدانوا عنها في
كل مناسبة تمرض ، بعد أن استشرى داء بعض المستشرقين الاستعمارين
في العمل على افساد لغتنا ، بالدعوة الى العامية ، وتفضيلها على الفصحى ،
تمزيقاً للوحدتين : القومية واللغوية ، وبعد أن كثر بين العرب من ينزعون
نزعتهم ، عن سوء نية ، أو سلامة طوية .

وقد عدوا الأبواب التي يريدون أن يدخلوا منها الى حرم العربية فيدنسوا
مقدساتها ويفسدوا أوضاعها ، ويفيروا أشكالها ، فاذا سدت عليهم باب ،
وأعيتهم فيه حيلة ، عمدوا الى باب آخر لملهم يجدون فيه الثغرة التي أعوزتهم
في محاولتهم تلك . ومن المؤلم : أن عدد هؤلاء الهداهين يزداد يوماً بعد يوم ،
ويقبل الناس على الاستماع إليهم ، ومن بدري اذا تمادى بهم الأمر وظل
رجال العربية ساكتين عنهم - سواء أكان سكوت ازدراء أو اعراض -

أن يلبثوا في يوم من الأيام ما يريدون أو بعرضه^(١) ، وحتى وجد الخرق فن
يضمن أن لا يتسع على الراقع .

ومن غرائب هذه المحاولات في الفترة الأخيرة ، قيام فئة تريد - على زعمها -
اصلاح الاملاء العربي . كأن هذا الاملاء السهل الواضح الصريح ، المبني
على أسس راسخة ، وقواعد ثابتة ، يحتاج الى من يصلحه ، وأوجع ما كان
من هذا ، أن نقرأ من يوثق بعربيتهم وبعروبتهم ، لا يتهمون بعجز في اللغة ،
وهم من أقطابها ، ولا تطالمهم تهمة في غيرتهم على العربية واخلاصهم لها ،
قد ذهبوا في مؤتمر الختامع اللغوية العربية الذي عقد في دمشق هذا المذهب ،
وقالوا بهذا التجديد الهدام ، وهو شيء يحار الانسان في فهمه ، ولا يعرف
كيف يفسره ، ولا على أي محمل يحمل ، واذا كانت العربية يطمئنها أعرف
الناس بأسرارها ، ومن كان عليه أن يكون من أشد القوم حفاظاً على آثارها ،
فما ظنك بالجاهلين والهدامين .

هذه اللغة التي تلفظ حروفها كما تكتب ، لا يتبدل النطق بها أين وقعت
وكيف وقعت ، وللهمة التي يجعلها العاجزون حجة على الصعوبة ، قواعد معروفة ،
وصورة حية مألوفة ، وللتائين المبسوطة والمعقودة ، والألف المنصورة والمدودة ،
قاعدة معروفة أيضاً لا تختلف ولا تتغير . يسهل حفظها ، والجري عليها .
على من شدا شيئاً من العربية ، أو حفظ القليل من قواعدها .

وهؤلاء الذين لا يرضيهم هذا الاملاء العربي الواضح ، راضون عن الاملاء
في اللغات الأجنبية التي يعرفونها ، رضاء أبناء هذه اللغات أنفسهم عنه ،
على ما في هذا الاملاء من شذوذ في حروفه وفي تراكيبها . يختلف لفظ

(١) كثرت في الفترة الأخيرة للكتابة باللغة العامية والخطابة بها ، وهبط الشمر الى
درجة مساوى فيها الرجل بل الخط عنه .

الحرف الواحد باختلاف موقعه ، فينقل الحرف من لفظ الى لفظ آخر لا نسبة بينهما ، وتلفظ الحرف عندهم ولا تكتبه ، وتكتب الحرف والاحرف ولا تلفظها .
وعلى الجملة فالإملاء في لغاتهم وهو ما فصلنا بعضه في الكلمة التي ألقيناها في مؤتمر المجامع اللغوية - شذوذ في شذوذ ، وقد شرفت العربية عنه ، وعافاها الله وعافانا منه .

رضوا بهذا الإملاء الذي يسميه أحد علماءهم^(١) Chinoiserie ولم يرضوا لنا ولا رضي بعضنا بهذا الإملاء العربي بصيغته السهلة ، وقواعده البينة .
على أن من الغرائب المؤلمة هذه الجمعية المعيبة ، التي نحن عليها ، وهذا الاستسلام الخزي الذي نستسلمه - غير مفكرين ولا مدافعين - كما انتقد العربية منتقد منا ، أو من غيرنا .

جرى بعض المدرسين - فترة من الزمن - على لفظ بعض الحروف العربية لفظاً أجنبياً ، وهي طريقة لا وجه لها ، ولا يستقيم لها انتساق . ورأى آخرون ان تلفظ الحروف العربية لفظاً صوتياً . وهو أسلوب قد يكون مفيداً ، ولا اعتراض لنا عليه ، فالمدرسون القائمون على عملهم أدري منا بما هو الأوفق والأصل .

ولكن اعتراضنا على الانتقاد الذي زعموه سبباً لهذا التبديل في التلفظ .
يقولون لك :

من شذوذ العربية ! ان حروفها لا انسجام بينها مفردة ومركبة .
وهو ما لا مثيل له في سائر اللغات . فاذا قلت (عين) أو (سين) أو (قاف)
أو (كاف) ومثلن كثير فكيف توفق بين حرف من هذه الأحرف في

(١) قالها أحد علماء الفرنسيين ، والامروسية أكثر لغات الغرب تنبهاً وتهذياً ،
فا عسى ان يقال في غيرها و « Chinoiserie » من معانيها القياس الغريب المرتك .

حالة الإفراد ، وبينه وبين لفظه في حالة التركيب ؟ فإذا قلت : عالم مثلاً
أو سالم فأين ذهبت الياء والنون ؟ وأين ذهبت (الألف) و (الفاء)
و (القاف) و (الكاف) في (قائل) و (كافل) وأمثالهما ؟

ولسنا هنا في بيان السبب الذي من أجله سمي كل حرف باسمه الذي أطلق
عليه ، ولا نحن بالذين يزعمون أن العربية بحروفها وألفاظها ، وضمت أول
ما وضعت وضماً علمياً من سائر وجوهها ووجوهه ، ولا بالمعترضين على الحروف
تلفظ لفظاً صوتياً .

ولكننا نقول : ان العربية لم تشذ في هذا عن سائر اللغات التي جاءت بعدها ،
ولا انفردت به . فما يجوز أن يؤخذ على العربية ، يجب أن يؤخذ على الحروف
في جميع اللغات ، فهي في حال تركيبها تخالف ما كانت عليه في حالة افرادها
فتسقط من الحرف مركباً مثل ما تسقط منه في العربية بل ما يزيد ^(١) .

ونخلص بعد هذا الى ما يجب على العرب من صيانة لغتهم والحفاظ عليها ،
وتسفيه الاعتراضات التي يوردها بعضهم تعصباً أو جهلاً . وأول هذه الواجبات
وأولها بالعناية ، نشر العربية الفصحى واستعمالها استعمالاً صحيحاً في المجالس
العلمية والرسمية ، وفي المؤتمرات ، وفي حلقات الأدباء والمتأدبين ومناقشتهم .
فالعرب ان تستقيم لهم لغتهم مادامت لغتين مختلفتين : لغة عامية ، ولغة فصيحة .
وهذا ما يجعل العرب يمانون في تعلم لغتهم وفي ضبط ألفاظها ما يقرب مما يمانون
في تعلم لغة صربية عنهم ^(١) . فالحاجة الى تقريب مسافة الخلف بين اللغتين ،
حاجة ملحة ولا سيما في زماننا هذا الذي صار فيه العالم وكأنه وطن واحد ،

(١) خذ مثلاً (Z) و (Y) وغيرها . فهل نستطيع ان نحتفظ لها مركبة
بصينتها مفردة ؟

(٢) من كلمتنا في هذا الموضوع نشرتها المرفان سنة ١٩٥٢ .

إذا أصيب منه قطر فكأنما أصيبت أقطاره جميعاً في تجارتها واقتصادياتها وسائر مرافقها . فكيف بالأقطار العربية !

ومن وسائل هذا التقريب ، النظر في الكلمات العامية ، وتصحيحها ، ورد ما نسيها من خطأ إلى الفصحى . وقد عالج هذا الموضوع جبهة من علماء العربية من المتقدمين والمتأخرين ، ولعل أول من كتب في هذا من المتأخرين وجعله كتاباً برأسه ، الشيخ خليل اليازجي ، ولست أعرف أطبع كتابه أم بقي مخطوطاً ، والأستاذ رشيد عطيه في كتابه الدليل في العامي والدخيل^(١) وقد طبعه ، والأستاذ عيسى المعروف ، وما كتبه نشر بعضه في مجلته (الآثار) وسائره لا يزال مخطوطاً ، والأمير شكيب أرسلان وكتابه موسوم بـ «القول الفصل في رد العامي في الأصل» وهو مخطوط لم يطبع بعد^(٢) . ثم كتاب الشيخ احمد رضا «رد العامي إلى الفصحى» وهو الكتاب الذي نحن في بحثه الآن .

وهذا الكتاب نُظِرَ بجوئه ما كابده صاحبه من مشقة ، وما اقتضاه من ننت ومراجعة وصبر وأناة .

رتب المؤلف كتابه على الحروف الهجائية ، ولنا أن تقسم بجوئه ثلاثة أقسام :

١ - الكلمات التي تكثر السامية من استعمالها ، حتى يجوز الى بعض الخاصة انها عامية ، وابتست كذلك . حدد ذكر مصادرها ، واصنشد على صحتها بشواهد من كلام العرب الأقدمين .

٢ - الكلمات الصحيحة في الأصل وحرقتها العامة . فهذه ردها الى أصلها الصحيح .

٣ - ما ليس بصحيح ولا بهربي ، وجاء له بما هو في معناه مما استعملته العرب .

(١) هذا اسمه فيما اذكر ولعلي على خطأ .

(٢) نشر المجمع المطبوع كتاب (بحر الموام فيما اصاب فيه الموام) لابن الحنبل الخليلي

المتوفى سنة ٩٧١ هـ بتعليق التنوخي . « مجلة البجلة »

ومثل هذا الجهد الذي عاناه المؤلف لا يجوز أن يُمر به مروراً عابراً ،
كلمة ثناء جميلة وينتهي الأمر . بل يستحق دراسة دقيقة تقديراً لعجل
أستاذنا الجليل .

هذا ما حملنا على مراجعته في بعض ألفاظ رأينا فيها غير رأيه ، قد يكون
مرداً أكثرها الى اختلاف اللهجات العامية ، في مختلف الأقطار العربية .
بل الى اختلافها حتى في القطر الواحد . كان هذا ، على أن نتابع الملاحظات
شبهتاً فشيئاً . غير أن الموت عاجله رحمه الله ، قبل أن يبدي رأيه ، في ما أبدينا
رأينا فيه ، وها نحن أولاء نعيد بجزئنا ، ونتابعه من حيث وقفنا . فقد يكون
بين المشتغلين في هذه الموضوعات من يرى رأينا ، أو يصحح ما وسمنا فيه .
فمن هذه النكات التي ترددنا فيها :

تمالس : قال المؤلف : « ويقولون تمالس وتالمس به ، اذا سخن به وهزأ .
فكأنه ينزله منزلة المألوس وهو الجنون . وفي اللغة : الس السآ : الرجل فهو
مألوس . اذا اختلط وذهب عقله . والالاس الجنون . وتمالس هذه بمعنى جعله
كالمألوس . فعبث به وسخر منه كما يعبثون بالجنون ، والميم زائدة لأنها صيغت
من المألوس على توهم الاصالة » اهـ الصفحة الـ ٨ .

المقلسة : وقال في الصفحة الـ ٣٨٥ : « وقالوا تمقلس عليه ، اذا سخن منه ،
أو تنادر منه منادرة فيها سخيرية . وهو من (ألقسه) يلقسه لقساً اذا عابه وشتمه ،
وإذا سخن منه أو لقبه باللقب الرديء . أو هي تمالس بالهجرة راجم ا - ل - س . اهـ » .
قلنا : هذا التردد في رد الكلمة الى أصل فصيح ، وهذا التخريج - الذي فيه ،
في رأينا - شيء من التكلف يحملنا على التفتيش لها عن أصل آخر .

والذي نراه أن « المقلسة » هي بالقاف لا بالهجرة ، على ما تلفظنا الى اليوم

عامه بني معروف ، ومن يجاورهم من أهل الشوف ، وعلى ما جاءت أخيراً في الصفحة الـ ٣٨٥ من الكتاب .

وفي لسان العرب « التقليس : ضرب اليدين على الصدر خصوصاً . . . » و « الانحناء . . . » وهو ما يفعله المستهزئون بمن يستهزئون بهم . أفلا يكون رد تقلس الى قلس اقرب منه الى « ألس » أو « لقس » ؟

أطم : ومن هذه البابة (اطم) بمعنى قطع ردها المؤلف الى (اتم) وقال : « وفي اللغة : أتم الشيء قطعه . . . » قلنا : وقد تكون (قطم) بالقاف ، أقرب ، وقد ذكرها الأستاذ ، ومرّ بها وكأنها لم ترضه .
فأى : قال : (فأى الدملة والقرحة) اذا شقها ، فانفأت . وهو من قول العرب فأى رأسه : اذا فلقه بالسيف ، أو بالعصا ، ونحوهما ، نقله الجوهري عن أبي زيد .

وفي اللسان : قال الليث : فأوت رأسه فأواً وفأيته فأياً اذا فلقته بالسيف . وقيل هو ضربك فحفه حتى ينفرج عنه الدماغ ، والانتفاء الانقراج . . . قلنا : أقرب من هذا ، وأقل سندا في التخريج ، أن ترد (فأى) الى (فقأ) . وفي اللسان : فقأ العين ، والبثرة ونحوهما ، بفقؤهما فقأ . . . قلعها وبجتها^(١) . . . وفي الحديث : لو ان رجلاً اطلع في بيت قوم بغير اذنهم ففقؤوا عينه لم يكن عليهم شيء . . . وكانت العرب في الجاهلية ، اذا بلغ ابل الرجل منهم ألفاً ، فقأ عين بغير منها وسرحه حتى لا ينتفع به .

والعامه في بني معروف الى اليوم تستعمل هذه اللفظة على وجهها الصحيح . فتقول (فقأ) الدملة والعين ونحوهما . غير أنها تستعملها مسهلة بلا همزة^(٢) .

(١) البختى (بالتحريك) افح ما يكون المور .

(٢) كما تستعمل (فور) وهي صحيحة ، و (ففر) ولها وجه . يقال ففر الحرز اي قلبه - وحزه - واتر فيه . ومن هنا اخذت العامه قولها (ففر عينه) .

دوبل : ويرى الأستاذ ان (دوبل) بمعنى أطرق يرأسه الى الأرض ، أخذته العامة من الدوبل وهو الخنزير . لأنه من عادة الخنزير أن يكون مطأطيء الرأس .

قلنا : لعل الأقرب أن تكون (دوبل) من (ذبل) بالذال المنقوطة . وفي اللسان : كذبل النبات والفصن والانسان ، يذبل ذُبولاً دق بعد الري ، فهو ذابل ، أي ذوي . وكذلك (ذبل) . . . وأذبله الحر . . .
والعامة عندنا تقول (ذبلات) و (مذوبل) اذا أطرق لثعب أو علة أو خجلاً وانكساراً

عارف النكدي

ثقافة الأطباء عند العرب

- ٣ -

« وتمهدت المرضى ، فانتفع علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف . وأنا مع ذلك أختلف الى الفقه وأناظر فيه . وأنا في هذا الوقت من أبناء (مت عشرة سنة) ، ثم توفرت على العلم والقراءة سنة ونصف ، فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة ، وفي هذه المدة مانت ليلة واحدة بطولها ، ولا اشتغلت في النهار بغيره ، وجمعت بين يدي ظهوراً . فكل حجة كنت أنظر فيها أثبت مقدمات قياسية ، ورتبتها في تلك الظهور ، ثم نظرت فيما عساها تنتج وراعت شروط مقدماته حتى تحقق لي حقيقة الحق في تلك المسألة ، وكما كنت أتخير في مسألة ولم أكن أظفر بالحد الأوسط في قياس ترددت الى الجامع وصلت وابتهدت الى مبدع الكل حتى فتح لي المنفلق وتيسر المتعسر ، وكنت أرجع بالليل الى داري وأضع السراج بين يدي وأشتغل بالقراءة والكتابة فمما غلبني النوم أو شغرت بضعف ، عدلت الى شرب قدح من الشراب ريثما تعود الي قوتي ، ثم أرجع الى القراءة ، ومما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها ، حتى أن كثيراً من المسائل انضح لي وجوها في المنام ، وكذلك حتى استحكمت معي جميع العلوم ووقفت عليها بحسب الامكان الانساني ، وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم أزد فيه الى اليوم حتى أحكمت علم المنطق ، والطبيعي ، والرياضي ، ثم عدلت الى الإلهي وقرأت كتاب « ما بعد الطبيعة » فما كنت أفهم ما فيه والتبس علي غرض

- ٢٠ -

واضعه حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظاً ، وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به ، وأبست من نفسي وقلت هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه .

وإذ أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين ويبد دلال مجلد ينادي عليه فعرضه علي فرددته رد متبرم ممتقداً أن لا فائدة في هذا العلم .

فقال لي اشتر متي هذا فانه رخيص أبيعك بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج إلى ثمنه ، فاشتريته فاذا هو كتاب « لأبي نصر الفارابي » في أغراض كتاب « ما بعد الطبيعة » ورجعت إلى بيتي وأمرعت قراءته فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان لي محفوظاً على ظهر القلب . وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يوم بشيء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى . وكان سلطان بخاري في ذلك الوقت نوح بن منصور واتفق له مرض حار فيه الأطباء ، وكان اسمي اشتهر بينهم بالتوفر على القراءة فأجروا ذكرني بين يديه وصألوه إحضاري ، فحضرت وشاركتهم في مداواته ، وتوسمت بخدمته . فسألته يوماً الإذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب ، فأذن لي ، فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض ، في بيت كتب العربية والشعر ، وفي آخر القصة ، وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد ، وطالعت فهرمت كتب الأوائل ، وطلبت ما احتجت إليه ، ورأيت من الكتب ما لا يقع اسمه إلى كثير من الناس قط ، ولا رأيت قط ولا رأيت من بعد ، فقرأت تلك الكتب ، وظهرت فوائدها وعرفت مرتبة كل رجل في علمه . فلما بلغت ثمانين سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها ، وكنت إذ ذاك للعلم أحفظ ولكنه اليوم معي أنضح والا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء . وكان في جواربي رجل يقال له أبو الحسن العروضي فسألني أن أؤلف له كتاباً جامعاً في هذا العلم فصنفت له المجموع

وسميته به ، وأثبت به على صائر العلوم سوى الرياضي ولي إذ ذاك احدى وعشرون سنة من عمري ، وكان في جواري أيضاً رجل يقال له أبو بكر البرقي ، خوارزمي المولد ، فقيه النفس توحد في الفقه والتفسير والزهد ، مائل الى هذه العلوم . فسألني شرح الكتب فصنفت له كتاب « الحاصل والمحصل » في قرب من عشرين مجلدة ، وصنفت له في الأخلاق كتاب سميته كتاب « البر والإثم » وهذان الكتابان لا يوجدان إلا عنده فلم يعرفهما أحد ينتسخ منهما . ثم مات والدي وتصرفت بي الأحوال وتقلدت شيئاً من أعمال السلطان ودعيتي الضرورة الى الارتحال عن « بخارى » والانتقال الى « كركنج » وكان أبو الحسين السهلي المحب لهذه العلوم بها وزيراً وقدمت الى الأمير بها وهو علي بن المأمون وكنت على زي الفقهاء إذ ذاك بطبلسان وتحت الخنك وأثبتوا لي مشاهرة دائرة تقوم بكفاية مثلي . ثم دعت الضرورة الى الانتقال الى « فسا »^(١) ومنها الى « بارود »^(٢) ومنها الى « طوس »^(٣) ومنها الى « شقان »^(٤) ومنها الى « سمنقان »^(٥) ومنها الى « جاجرم »^(٦) رأس حد خراسان ومنها الى « جرجان »

- (١) فسا : أو بسا : كلمة أعجمية معناها الرياح الشمالية وهي مدينة بفارس قريبة من شيراز بأربعة مراحل قابعة لكورة دارايجرد . معجم البلدان ٦ : ٣٧٦ .
- (٢) بارود : وهي أيورود ببلد بخراسان .
- (٣) طوس : مدينة بخراسان أيضاً بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ وبها قبر هارون الرشيد وعلي بن موسى الرضي (معجم البلدان) .
- (٤) شقان : بلدة من نيسابور . ويقال شقان بالكسر لوجود جبل فيها ينشق عنه ماء وجبل آخر ينشق عنه ماء .
- (٥) سمنقان : بلدة بالقرب من جاجرم من أعمال نيسابور في بلاد المعجم .
- (٦) جرجان : مدينة شهيرة بين جراسقان وخراسان وكان أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ومنها خرج البرمكي (معجم البلدان) .

وكل قصدي الأمير قابوس^(١) وحبسه في القلاع وموته هناك . ثم مضيت الى « دهستان » ومرضت بها مرضاً صعباً وعدت الى « جرجان » واتصل أبو عبيد الجوزجاني بي وأنشأت في حالي قصيدة فيها بيت القائل :

لما عظمت فليس مصر تواسي لما غلا ثمني عنمت المشتري «

وفي جرجان صنف كتاب « المبدأ والمعاد » وكتاب « الأرصاد السكية » وكتباً كثيرة كأول القانون ومختصر الجسطي وكثيراً من الرسائل ، ثم صنف في أرض الجبل بقية كتبه ، ثم انتقل الى الري واتصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة وكان به مرض تغلب السوداء عليه فاشتغل بمداواته وأقام بها الى أن قصد شمس الدولة بعد قتل هلال بن بدر بن حسنويه وخرينة عسكر بغداد ، ثم اتفقت أسباب أوجبت الضرورة لها خروجه الى قزوین ومنها الى همدان واتصاله « بكذبانويه » والنظر في أسبابها ، ثم اتفق معرفة شمس الدولة واحضاره مجلسه بسبب قولنج كان قد أصابه وعالجه حتى شفاه الله تعالى وفاز من ذلك المجلس بخلع كثيرة وعاد الى داره بعد ما أقام هنالك أربعين يوماً بلياليها وصار

(١) الأمير قابوس : هو أبو الحسن قابوس بن وشكير بن زياد بن وردان شاه الجبلي الملقب شمس الممالي . أمير جرجان وبلاد الجبل وخراسان ، وليها سنة ٣٦٦ هـ واكتسح عضد الدولة البويهی مملكته سنة ٣٧١ هـ ، واستعادها قابوس سنة ٣٨٨ هـ ، فاشتد في مطاقبة من خذلوه في حربه مع عضد الدولة فنفى من شبه وقامت الثورة فضامه القواد وولوا ابناً له ورضوا باقامته في إحدى القلاع الى أن مات عام ٤٠٣ هـ وهو دبلي الأصل ، متمرب ، نابغة في الأدب والانشاء ، وله شعر جيد في العربي والفارسي وكتاب بحوي رسائله سمى (كمال البلاغة) مطبوع . عن كتاب الأعلام ٢ : ٧٨٠ .

من ندماء الأمير^(١) ، ثم اتفق نهوض الأمير شمس الدولة الى قرمسين لحرب عزاز وخرج الشيخ في خدمته ثم توجه نحو همدان منهزماً راجعاً . ثم سأله تقلد الوزارة فتقلدها ، ثم اتفق تشويش المسكر عليه واشفاقهم منه على أنفسهم فكبسوا داره وأخذوه الى الحبس وأغاروا على أسبابه وأخذوا جميع ما يملكه وسألوا الأمير قتله فامتنع منه وعدل الى نفيه عن الدولة طلباً لمرضاتهم ، فتواري في دار الشيخ أبي سعد بن دخدوك أربعين يوماً فعاود الأمير شمس الدولة القولنج وطلب الشيخ فحضر مجلسه فاعتذر الأمير اليه بكل الاعتذار فاشتغل بمعالجته وأقام عنده مكرماً ميجلاً وأعيدت اليه الوزارة ثانياً ، ثم سأله أبو عبيد الجوزجاني وهو صاحبه ، شرح كتب أرسطوطاليس فذكر أنه لا فراغ له الى ذلك في ذلك الوقت ، ولكن إن رضي منه بتصنيف كتاب يورد فيه ما صح عنده من هذه العلوم فهل بلا مناظرة المخالفين ولا اشتغال بالرد عليهم ، وقد رضي الموصي اليه فابتدأ بالطبيعيات من كتاب سماه « الشفاء » وكان قد صنف الكتاب الأول من القانون وكان يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم وكان الجوزجاني يقرأ من الشفاء ويقرئ غيره من القانون نوبة ، فاذا فرغوا حضر

(١) الأمير شمس الدولة : هو أبو طاهر بن فخر الدولة البويهى حاكم حمدان وهمدان وكرمانشاه اضطرت الفتى في أيامه فاستجد عليها بحاكم أصفهان علاء الدين أو علاء الدولة من بني كاكويه فنجده وأخذوا الحكم منه سنة ٤١٥ هـ .
وأما الأمير مجد الدولة فهو أبو طالب ومتم بن فخر الدولة علي بن ركن الدولة حسن بن بويه . تامن ملوكهم . خلف والده عام ٣٨٧ على حكومة المراق وتقلب على خراسان ولما جلس على عرش الحكم كان صيباً فأدارت والدته (سيدة خاتون) الحكم مكانه ولما بلغ أشده تولى هو بذاته الملك وبقي (٣٣) سنة فيه . وفي عام ٤٢٠ حاربه السلطان محمود الغزنوي بالهرب من الري وغلبه وأخذته أسيراً ثم آلت خراسان والمراق الى السبكتكيتين . عن قاموس الأعلام - مجلد (٦) .

المفنون على اختلاف طبقاتهم وهي مجلس الشراب بآلاته وكانوا يشتغلون به .
 وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمة الأمير فقضى على ذلك زمناً .
 ثم توجه شمس الدولة إلى (طارم)^(١) لحرب الأمير بها وعاوده القولنج
 قرب ذلك الموضع واشتد عليه ، وانضاف إلى ذلك أمراض أخرى جعلها صوره
 تدبيره وقلة القبول من الشيخ فخاف عسكره وفاته ورجعوا به طالبين همدان
 في المهد فتوفي في الطريق في عهد ثم بويغ ابن شمس الدولة وطلبوا استئجار
 الشيخ فأبى عليهم وكانب علاء الدولة^(٢) مرآ يطلب خدمته والانضمام إلى جوانبه
 وأقام في دار أبي غالب المطار متوارياً وطلب منه صاحبه الجوزجاني اتمام كتاب
 الشفاء ، فاستحضر أبا غالب وطلب الكاغد والمهبرة فأحضرهما وكتب الشيخ في
 قريب من عشرين جزءاً على الثمن بخطه رؤوس المسائل وبقي فيه يومين حتى
 كتب رؤوس المسائل كلها بلا كتاب يحضره ولا أصل يرجع إليه ، بل من
 حفظه وعن ظهر قلبه . ثم ترك الشيخ تلك الأجزاء بين يديه وأخذ الكاغد
 فكان ينظر في كل مسألة ويكتب شرحها ، فكان يكتب كل يوم خمسين
 ورقة حتى أتى على جميع الطبيعيات والآلهيات ما خلا كتابي الحيوان والنبات ،

(١) طارم : أو تارم : كورة واسمه في الجبال بين قزوين وجيلان . فيها قرى
 كثيرة وجبال وعرة وليس فيها مدينة مشهورة . وفي معجم البلدان انها أيضاً
 بليدة أخرى في آخر حدود فارس من جهة كرمان . وبين تارم وشيراز
 ٨٢ فرسحاً . ويقول صاحب (قاموس الأعلام) أن (طارم) هو نهر تابع
 لتركستان الشرقية يتألف بين كاشغر وبارقند ثم يتصل (بقره صو) منجماً إلى
 الشرق وبمعدن أن تنصب عليه أنهر الشمال بشكل بحيرة ومنها يجري إلى
 الجنوب الشرقي .

(٢) علاء الدولة : ملك الري عام ٥١٦ هـ وهو ابن فرامز بن هلي بن فرامز ،
 وفي زماله هاش الخيام والفرزالي والنظام .

وابتداً بالمنطق وكتب منه جزءاً ثم اتهمه تاج الملك^(١) بمكائنه علاء الدولة فأنكر عليه ذلك وحث في طلبه فدل عليه بعض أعدائه فأخذوه وأدوه الى قلعة يقال لها «فردجان» وأنشأ هنالك قصيدة منها :

دخولي في اليقين كما تراه وكل الشك في أمر الخروج
وبقي فيها أربعة أشهر ثم قصد علاء الدولة همذان وأخذها وانهزم تاج الملك
وصرّ الى تلك القلعة بعينها ثم رجع علاء الدولة عن همذان وعاد تاج الملك
وابن شمس الدولة الى همذان وحملوا معهم الشيخ الى همذان ونزل في دار العلوي
واشتغل هنالك بتصنيف المنطق من كتاب الشفاء ، وكان قد صنف في القلعة
كتاب الهدايات ورسالة حي بن يقظان وكتاب القولنج . وأما الأدوية القلبية
فإنما صنفها أول وروده الى همذان .

وكان قد تقضى على هذا زمان وتاج الملك في أثناء هذا يمينه وبمعه بمواعيد
جميلة ، ثم عنّ للشيخ التوجه الى أصفهان فخرج متكرراً هو وأخوه وصديقه
وغلامان معه في زي الصوفية الى أن وصلوا الى طبران على باب أصفهان بعد
أن قاموا شذائد الطريق فاستقبلهم أصدقاء الشيخ وندماء الأمير علاء الدولة
وخواصه وحمل اليه الثياب والمراكب الخاصة وأنزل في محل يقال له
(كونكبند) في دار عبد الله بن باني وفيها من الآلات والفرش ما يحتاج
اليه . وحضر مجلس علاء الدولة فصادف في مجلسه الأكرام والإعزاز الذي

(١) تاج الملك : ويسمى أبو الفنايم مرزبان بن خسرو فيروز وزير ملكشاه السلجوقي .
تولى الوزارة بعد الوزير نظام الملك ، وتعين وصياً على ابن ملكشاه الذي
كان عمره (٤) سنين ، وفي أثناء تدبيره الملك التقي أصحاب سلطة نظام
وثاروا على الدولة في أصفهان وفي الحرب الذي جرى بين عسكر ابن ملكشاه
وبين أنصار نظام الملك انكسر الجيش الأول وهرب تاج الملك الى يزدجرد
وهناك استوزره (بركيارق) ولكن قتله جماعة نظام الملك في عام (٤٨٦) هـ
وبركيارق هو ابن ملكشاه وحفيد آل أرسلان تولى عرش أبيه في إيران
عام ٤٨٤ وحكم (١٢) سنة وتوفي وعمره (٤٥) سنة .

يستحقه مثله ثم رسم الأمير علاء الدولة ليالي الجمعات مجلس النظر بين يديه
 بحضرة سائر العلماء على اختلاف طبقاتهم والشيخ من جعلتهم فما كان يطاق في
 شيء من العلوم . واشتغل في أصفهان بتدريس كتاب الشفاء ففرغ من المنطق
 والمجسطي (الهيئة) وكان قد اختصر أوقليدس (الهندسة) والأرتماطيقي (الحساب)
 والموسيقى ، وأورد في كل كتاب من الرياضيات زيادات رأى أن الحاجة إليها
 داعية . أما في المجسطي فأورد عشرة أشكال في اختلاف المنظر . وأورد
 في آخر المجسطي في علم الهيئة أشياء لم يسبق إليها ، وأورد في أوقليدس شيئاً ،
 وفي الأرتماطيقي خواص حسنة ، وفي الموسيقى مسائل غفل عنها الأولون ،
 وأتم الكتاب المعروف بالشفاء ما خلا كتابي النبات والحيوان فإنه صنفاً في
 السنة التي توجه فيها علاء الدولة إلى (سابورخواست) في الطريق . وصنف
 أيضاً في الطريق « كتاب النجاة » واختص بعلاء الدولة وصار من ندمائه إلى
 أن عزم علاء الدولة على قصد همذان وخرج الشيخ في الصحبة فجرى ليلة بين
 يدي علاء الدولة ذكر الخلال الحاصل في النقاويم المعمولة بحسب الأرصاد القديمة
 فأمر الأمير الشيخ بالاشتغال برصد هذه الكواكب وأطلق له من الأموال
 ما يحتاج إليه ، وابتدأ الشيخ به وولي الشيخ الجوزجاني اتخاذ آلاتها واستخدام
 صناعتها حتى ظهر كثير من المسائل ، فكان يقع الخلل في أمر الرصد لكثرة
 الأسفار وعوائقها . وصنف الشيخ بأصفهان كتاب الملائي ، وكان من عجائب
 أمر الشيخ إذا وقع له كتاب مجدد لا ينظر فيه على الولاء بل كان يقصد
 المواضع الصعبة منه والمسائل المشككة فينظر ما قاله مصنفه فيها فيبين صوابه في
 العلم ودرجته في الفهم . وفي يوم من الأيام كان الشيخ جالساً بين يدي الأمير
 وأبو منصور الجبائي حاضر فجرى في اللغة مسألة تكلم فيها الشيخ بما حضره
 فالتفت أبو منصور إلى الشيخ بقول أنك فيلسوف وحكيم ، ولكن لم تقرأ من
 اللغة ما يرضي كلامك فيها ، فاستنكف الشيخ أبو علي بن سينا من هذا الكلام

وتوفر على درس اللغة ثلاث سنين واستهدى كتاب تهذيب اللغة من خراسان من تصنيف أبي منصور الأزهري ، فبلغ الشيخ في اللغة طبقة قما يتفق مثلها ، وأنشأ ثلاث قصائد ضمنها ألفاظاً غريبة من اللغة وكتب ثلاثة كتب أحدها على طريقة ابن العميد والآخر على طريقة النصابي والآخر على طريقة الصاحب ، وأمر بتجليدها وإخلاق جلدتها ، ثم أوعز إلى الأمير فعرض تلك المجلدة على أبي منصور الجبائي وذكر أنهم ظفروا بهذه المجلدة في الصحراء وقت الصيد فيجب أن يتفقدوها ويقول لهم ما فيها فنظر فيها أبو منصور وأشكل عليه كثير من ألفاظها وما فيها ، فقال له الشيخ ان ما تجمله من هذا الكتاب فهو مذكور في الموضوع الفلاني من كتب اللغة وذكر له كثيراً من الكتب المعروفة في اللغة كان الشيخ حفظ تلك الألفاظ منها . وكان أبو منصور مجزفاً فيما يورده من اللغة غير ثقة فيها ففطن أبو منصور أن تلك الرسائل من تصنيف الشيخ وان الذي حمله عليه ما جبره به في ذلك اليوم فتصل واعتذر إليه .

ثم صنف الشيخ كتاباً في اللغة سماه (لسان العرب) لم يصنف في اللغة مثله ولم ينقله إلى البياض حتى توفي فبقي على مسودته لا يهتدي أحد إلى ترتيبه . وكان قد حصل لابن سينا تجارب كثيرة فيما باشره من المعالجات عنزم على تدوينها في كتاب (القانون) وكان قد علقها على أجزاء فضاعت قبل اتمام كتاب القانون . من ذلك أنه صدح يوماً فتصور أن مادة (١) تربد النزول

(١) يظهر أن الدماغ كان محققاً وضغط الدم هالياً فخاف من النزف الدماغى وعليه استعمال الثلج وتبريد المحل لهذه الغاية وهو تدبير حكيم لمنع الالتهاب في صحابا الدماغ وفي إيقاف الاحتقان . وقد يكون الورم حاداً في حجاب الدماغ الرقيق والخليل دون جرمه وان كان جرمه قد يمرض له ورم وليس كما ظن بعض المتصيين أن الدماغ لا يرم ... أما علاماته المشتركة لأصنائه الحقيمية فسمى لازمة يابسة تشد في الظاهرة على الأكثر وهذان يفرض قارة وينقطع أخرى وكرامة للكلام وكلاماً منه إلى آخر ما وصفه ابن سينا في كتابه وسماه « قرانطس = Crinatus) وما وصفه ابن سينا أعراض داء الجنب وخراج الكبد والتهاب الخيزوم وفرق بينهم ، والسكتة الدماغية ، وهى المثانة الصرعية .

الى حجاب رأسه ، وأنه لا بأمن وربما يحصل فيه فأمر باحضار ثلج كثير ودقه ولفه في خرقة ونظف به رأسه بها . ففعل ذلك حتى قوي الموضع وامتنع عن قبول تلك المادة وعوفي .

وبينا كان قاصداً علاء الدولة وهو في همدان عاوده القولنج في الطريق الى أن وصل الى همدان وعلم أن قوته قد سقطت وأنها لا تفي بدفع المرض ، فأهمل من اداة نفسه وقال المدبر الذي في بدني - ويعني الطبيعة - عجز عن تدبير بدني فلا تنفني المعالجة ثم اغتسل وتاب وتصدق بما بقي معه على الفقراء ورد المظالم الى من عرفه من أربابها وأعتق غلانه . وكان يحفظ القرآن فيحتم في كل ثلاثة أيام ثم مات في الجمعة الأولى من رمضان سنة ٤٢٨ هـ ودفن في همدان ، وكان يوم توفي قد بلغ من العمر (٥٨) سنة وفي رواية ابن أبي أصيبعة (٥٣) سنة .

والذي يستنتج من هذه السيرة الحافلة بالأحداث أمور لا يسعنا إغفالها لأن فيها ما ينشر لنا الفهم عن أصول التحصيل الذي كان متبعاً حتى القرن الرابع والخامس ، وماذا كان يتعلم معظم الأطباء . وأما عن ابن سينا هذا الحكيم النابغة والفيلسوف العظيم فيمكن ذكر هذه الأمور الهامة على الوجه الآتي : أولاً - ان ابن سينا أكمل العلوم وحصل الطب وهو لا يزال بين السادس عشرة والاحدى وعشرين من عمره ، وان ما تعلمه من علوم ذلك العصر لم يزد بعد ذلك ولكنه زاد نضوجاً وتجربة .

ثانياً - ان قوة الحفظ والتذكر ، والتجري ، والقياس ، والفهم ، كانت فيه قوية ونادرة المثال بين الأطباء والحكماء . بدلنا على ذلك حفظه القرآن ، واستظهاره كتب اللغة والفقه والحديث والعروض ، ثم اطلاعه على ما ترجم من الكتب اليونانية والفارسية وحفظه علومها وحفظه كتاب (ما وراء الطبيعة) للفارابي وقراءته أربعين مرة حتى فتح عليه مقالتي قضاياه .

ثالثاً - اطلاعه على الفلسفة والعلوم الإلهية وتبحره في مسائلها وتصنيفه الكتب الكثيرة عنها .

رابعاً - انشغاله الدائم في الحل والسفر في التصنيف ، والتدريس ، والاملاء في مختلف العلوم حتى زاد ما كتبه في جميعها بما بنوف عن المائة كتاب .

خامساً - لم يمنعه طبه ولا التصنيف عن الاشتغال في السياسة والتوظيف في الوزارة وتدبير أمور الملك لعدة ملوك من آل بويه والسلاجقة .

سادساً - حبه العظيم للموسيقى ، والرياضيات ، والفلك ، واشتغاله فيها وتصنيفه الكتب فيها .

سابعاً - اتقانه العميق للعلوم اللغة العربية ووضع كتاب « لسان العرب » وتأليفه الرسائل الثلاث التي حاكي بها ابن العميد ، والصابي ، والصاحب . ونظمه القصائد البليغة في التصوف والأطبيات ، والأراجيز في الطب والصحة ، وفي ذلك أثبت نزعة الفنية وشعوره الحساس .

ثامناً - أثبت أنه أعظم شخصية إسلامية تمثل المعرفة الموسوعية في جميع العلوم .
تاسعاً - تتمتع بملاذ الحياة كنتم لراحة النفس ، وتعديل فعل الفرائز ، وتهذيب الطباع .

عاشراً - استجابته لطبيعته الوثابة ، وفكره المنطقي ، وفلسفته العميقة السامية في تصانيفه ووضع كتاب (القانون) الذي تناول علم الطب وفروعه حتى زمانه ، نبوّه وصنفه واستخلصه من الكتب التي اطّلع عليها وجرده من الزوائد والخرافات والشعوذة ، ورتبه ترتيباً علمياً أضاف عليه ما استقرأه وشاهده ، وجربه فكان خير كتاب لا يستغني عنه الأطباء ولذا نظر فيه كل الذين أتوا بعده وغيره منهم اختصروه وادخروه وبقي حتى القرن الخامس عشر ميلادي يدرس في مدارس أوروبا والشرق ، وكانت آخر طبعة له طبعت في روما عام ١٥٩٣ م .

حادي عشر - ان ابن سينا كان أول من أشار بوضوح الى عدوى السل الرئوي وانتقال الأمراض الى الانسان بواسطة الماء والشراب ، وأول من وصف داء الفيلاريا وانتشاره في الجسم ، وأول من وصف داء الجذرة الخبيثة وسماها بالنار الفارسية ، كما أن الرازي أول من وصف بدقة داء الجدري والحصبية وفرق بينهما ، وأول من قال بالعدوى الوراثية . والطبري أول من اكتشف الحشرة التي تسبب داء الجرب ووصفها .

ثاني عشر - استعمل الرياضة الروحية والرياضة البدنية في طلب الهداية وحلّ مغالبي القضايا والمسائل وهي طريقة صحيحة لتصفية الذهن وراحة الفكر .
ثالث عشر - كانت عبقريته من النوع الذي لا يستقر على حال وحياته موسومة بالشواذ والغرابة يقضي الليالي مكباً على القراءة والكتابة ، ويتناول أحياناً المنبهات ليبقى واعياً ، وإذا أتاه النوم تناوبته الأحلام فيما كان يقرأ ويفكر ، وكان حينما ينتهي من عمله يستسلم الى شرب الخمر والطرب .

رابع عشر - كانت له أطماع سياسية تجعله دائم التنقل من أمير الى آخر ، ومن مدينة الى أخرى ، ومتى أدرك حظه من السياسة كان ينسى الطب ، وبمكس ذلك عندما تخذله السياسة كان يعود الى ممارسة الطب والتأليف .
وذلك نشاطه على أنه كان قادراً على تأليف كتاب في الليلة واحدة .

خامس عشر - كان قوي الحجّة قاطع البرهان ، وهذا ما جعل كتاباته شديدة التأثير على رجال العلم والفكر في عصره وفي القرون الوسطى . وقد قال عنه « وليم أوسلر » ان قانونه الطبي كان الإنجيل الطبي لأطول فترة من الزمن درس فيه الطلاب والعلماء مدة تنوف عن ثمانية قرون . أما تأليفه الاخرى فأهمها قوانين ومعالجات طبية ، الأدوية القلبية ، كتاب الشفاء وكتاب النجاة وكتب أخرى منها ما هو مطبوع والباقي لم يطبع عدا ما له من مؤلفات في العلوم الأخرى .

سادس عشر - بدل شعره على نزع فلسفة صوفية . ومن قصائده الشهيرة
قصيدة في النفس ومطلعها :

هبطت اليك من المحل الأرفع	ورقاء ذات تمزز وتمنع
محبوبة عن كل مقلة عارف	وهي التي صفت ولم تنبرقع
وصلت على كره اليك وربما	كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما أنست فلما واصلت	ألفت مجاورة الخراب البقع
وأظنها نسبت عهداً بالحمى	ومنازلاً بفراقها لم تقنع
حتى اذا اتصلت بها وهبوطها	في ميم مركزها بذات الأجرع
طقت بها ثناء الثقيل فأصبحت	بين المعالم والطول الخضع
تبكي اذا ذكرت دياراً بالحمى	بدامع تهمي ولما تقطع
وتظل صاجعة على الدمن التي	درست بتكرار الرياح الأربع
اذ عاقها الشرك الكثيف وصددها	قفص عن الأوج الفسيح الأربع
حتى اذا قرب المسير الى الحمى	ودنا الرحيل الى الفضاء الأوسع
سجمت وقد كشف الغطاء فأبصرت	مالبس بدرك بالعيون المجمع
وغدت مفارقة لكل مخلف	عنها حليف الترب غير مشيع
وغدت تفرد فوق ذروة شاهق	والعلم يرفع كل من لم يرفع
فلا شيء أهبطت من شاهق	سام الى قعر الحضيض الأوضع
ان كان أرسلها الآله لحكمة	طوبت عن الفطن اللبيب الأروع
فهبوطها ان كان ضربة لازب	لتكون سامعة بما لم تسمع
وتعود عالة بكل خفية	في العالمين تخرقها لم يرفع
وهي التي قطع الزمان طريقها	حتى لقد ضربت بغير المطلع
فكانها برق نالت في الحمى	ثم انطوى فكانه لم يلمع

وتقول وصيته التي أوصى بها صديقه وهو أبو سعيد بن أبي الخير الصوفي على ماله من عقيدة دينية ومن مبادئ أخلاقية واجتماعية يجدر بنا نقلها كما هي تكملة لبحثنا عن ابن صينا وصيرته .

قال الشيخ الرئيس : « ليكن الله تعالى أول فكر له وآخره ، وباطن كل اعتبار وظاهره ، وليكن عينه نفسه مكحولة بالنظر اليه ، وقدمها موقوفة على المثول بين يديه مسافراً بعقله في الملكوت الأعلى وما فيه من آيات ربه الكبرى . وإذا انحط الى قراره فلينزله الله تعالى في آثاره فإنه باطن ظاهر تجلي لكل شيء بكل شيء »

« فني كل شيء له آية تدل على أنه واحد »

فاذا صارت هذه الحال له ملكة انطبع فيها نقوش الملكوت وتجلي له قدس اللاهوت فألف الأنس الأعلى ، وذاق اللذة القصوى ، وأخذ عن نفسه من هو بها أولى ، وفاضت عليه السكينة ، وحققت له الطمأنينة ، وتطلع على العالم الأدنى اطلاع راحم لأهله مستوهم لحيله ، مستخف لثقله ، مستحسن به لعقله ، مستنزل لطرقه وتذكر نفسه وهي بها طجة وبهجتها بهجة ، فتعجب منها ، ومنهم تعجبهم منه ، وقد ودعها وكان معها كأنه ليس معها . وليعلم أن أفضل الحركات الصلاة ، وأمثل السكنات الصيام ، وأنفع البر الصدقة ، وأزكى السر الاحتمال ، وأبطل السعي المراءة ، ولن تخلص النفس عن الدرر ما التفتت الى قيل وقال ، ومناقشة وجدال ، وانفعلت بحال من الأحوال . وخير العمل ما صدر عن خالص نية ، وخير النية ما يفرج عن جناب علم ، والحكمة أم الفضائل ، ومعرفة الله أولى الأوثان . اليه يصمد الحكم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، ثم يقبل على هذه النفس المزينة بكاملها الذاتي فيجرسها عن التلطف بما يشينها من الهيئات الاتقيادية للنفوس الموادية التي اذا بقيت في النفس المازينة كان حالها عند الانفصال كحالها عند الاتصال إذ جوهرها غير مشارب ولا مخالط ، وانما بدنسها هيئة الاتقياد لتلك الصواحب ، بل يفيدها هيئات الاصنيلا والسبامة

والاستملاء والرياسة ، وكذلك يهجر الكذب قولاً وتخيلاً حتى تحدث للنفس هيئة صدوقة فتصدق الأحلام والرؤيا . وأما اللذات فيستعملها على اصلاح الطبيعة وابقاء الشخص أو النوع أو السياسة . أما المشروب فإن يهجر شربه تلهياً بل تشفيماً وتداوياً . ويعاشر كل فرقة بصادته ورسخه ، ويسمح بالمقدور والتقدير من المال ، ويركب لمساعدة الناس كثيراً مما هو خلاف طبعه ، ثم لا يقصر في الأوضاع الشرعية ، وبمظم السنن الإلهية ، والمواظبة على التعبدات البدنية ، ويكون دوام عمره اذا خلا وخلص من المعاشرين ، تطربه الزينة في النفس ، والفكرة في الملك الأول وملكه ، وكيس النفس عن عيار الناس من حيث لا يقف عليه الناس . عاهد الله ، أنه يسير بهذه السيرة ويدين بهذه الديانة والله ولي الذين آمنوا وهو حسبنا ونعم الوكيل .

أما ما ذكر عن ملذاته وافراطه الجنسي فلا يقبل صدقه كما ورد لأن من كان مثل الشيخ ابن سينا في نبوغه وعبقريته وعلمه وانسانيته ومطامعه ومشاغله ، وصهره وصلاته ، وفلسفته وصوفيته ، وتأليفه وكتابته ، يصعب علينا وصفه بما كتبه بعضهم عنه . وفي عقيدتي انه براء منه . أليس هو القائل :

احفظ منيك ما استطعت فانه ماء الحياة يصب في الأرحام

فكيف بقول هذا وبفراط في شهواته وملذاته ؟ وماذا نقول عن وصيته وعن سيرته في شبابه ؟ ان الذين ترجمنا لهم سيرتهم اتخذناهم نموذجاً لتصوير الزمن الذي عاشوا فيه ، والحياة الاجتماعية التي تربوا في بيتها ، وماهية العلوم التي درسوها ، والمناهج الدراسية التي اتبعوها ، وما أردنا تعداد كل من يجب ذكرهم من عباقرة الأطباء العرب بل اكتفينا بهؤلاء الثلاثة خوفاً من الإطالة والخروج عن الغاية وهم في نظرنا خير من يمثلون ثقافة العرب الطبية .

(يتبع) عبد الرحمن الكيالي

عبقرية خليل مطران

في الغزل والتصوير^(١)

يرى كثير من النقاد أن مطران حمل راية التجديد في الشعر العربي ، وأنه برع في الغزل القصصي وفي الوصف ، فكان شاعر معان لا شاعر صناعة وصياغة ، وأن عنايته انصرفت الى معرفة الأدب الغربي بقلده ويحذو حذوه أكثر مما يقلد القدماء من العرب الفحول ، فانخفض عن زملائه البارودي وشوقي وحافظ في السبك والمناطة ، ولكنه فتح فتحاً كبيراً في صورته وألوانه وتمثيله . ويرى هؤلاء النقاد أن ذلك راجع الى نشأته وتربته وثقافته وتقلب حياته ، ونحب هنا أن نستعيد الخطوط الكبرى لهذه النشأة والثقافة مما يفيدنا في عرض غزله ووصفه . فقد ولد الخليل في بعلبك بعد عامين من حرب السبعين ، ولبت العالم يتحدث عن الحرب الطاحنة ، والمدافع الهدامة ، والأجساد المنساقطة ، وانتصار الألمان واندحار الفرنسيين . وسورية كانت تتصل في كثير من أجزائها بجانب واحد من ثقافة هؤلاء المحاربين وعقليتهم ، فلها أن تهتم بالقوم ، وأن تتحدث عن نكبتهم وأن ترهف السمع الى تلك الأحداث ، فدارت حول الفتي أحاديث في صهرات بعلبك وفي بيت مطران ، لا تخلو من أمي وهول ، في بشاعة الانسانية ومصائب الحروب .

ودرج الفتي في هذه المدينة الصغيرة ، وهي لمن يعرفها حديقة زرعت بالبيوت البسيطة ، وفي قلبها أعمدة صامدة ركزها الرومان في القديم ، وخافوا على جنباتها نقوشاً لأهلهم ، لعلها أجمل ما بقي من آثارهم في الشرق ، فهي منحوتة على براعة

(١) الكلمة التي ألبت في مهرجان مطران بالقاهرة في ٢٥ تشرين الأول ١٩٥٩ .

مدهشة ، تمثل آله الحرب مارس وعليه درعه ، وديانا إلهة الصيد ، وباخوس
 إله الخمر وحول رأسه عناقيد العنب ، وإلهة المشق وبين تديبها تجسم ولد
 ذو جناحين هو كوييدون رسول الحب والهوى وعلة القلب في كل شاعر .
 هذه الأعمدة كانت تبعث التاريخ والأسمى والجمال والمظمة ، يراها الفتى
 إذا أصبح ويراها إذا أمسى ، فائمة الى السماء مائلة نحو الأرض ، أو نائمة الى
 الأبد ، فتلهو عيناه الصغيرتان بالجوارى ، والخور والعنب على أطرافها ، وقلب الفتى
 يبعث بالتاريخ والتقصص فيحلم بالحب الذي نبت في ظلالها والهوى الذي عاش في
 أكنافها . وبذلك ولد في نفسه عاملان عامل النحت وعامل الحب ، وقامت في
 قلبه مشاعر القصة والحزن والكآبة .

فلما زحزح عن بيروت وكليتها ويم باريس لقي الجمال كذلك في كل زاوية ،
 وتفتق العطر عند كل شجرة ، وتعلق وهو في الثامنة عشرة بتابع الأدب
 الغربي ، يمت من الرومانسية السائرة ، فيعشق فيني وموصه ويحفظ من شعرهما ،
 ويسهر مع مسرحيات باريس في قصص جميل .

وعلى هذا كله أصاب الفتى مرض العصر في لبنان وهو الهجرة والرحلة ،
 فوقف بين شبلي ومصر ، ولكن مصر تغلبت أخيراً ، فعاد إليها ليقضي فيها
 قرابة خمسين سنة ، وفي برديه كآبة الماضي ، ورحلة التاريخ ، وتقوش الجمال ،
 ورومانسية الشعر . فقام في نفسه أن يحدث حدثاً في الأرض المضيئة ، وعزم
 على أن ينقل الشعر الغربي والمسرح الغربي الى مصر ، ففكر في أن يجعل
 الشعر العربي الذي ينظمه على غرار ما حفظ وما سمع ، وراح يحمل له في
 فهم جديد وروح جديدة على جناحين من تصوير بارع وقصص في الحب ،
 فكان منه ديوانه الأول ، أصدره سنة ١٩٠٨ وعمره ست وثلاثون سنة ،
 هو الذي يمثل شعره في رأينا ، وهو الذي تقف عنده خلال هذه الدقائق
 لتري الى الغزل والوصف كيف كانا منه .

صدر الديوان « بيان موجز » شبه فيه الشعر الذي بقي له ببقايا السفينة الغربية والقطع السامة من الآثار ، فأذكرنا ببقايا بعلبك . وقال انه لن ينسى الخروج على المؤلف من الاستمارات والمطروق من الآساليب ولكنه سيحفظ جهده بأصول اللغة ، ورد على من سخر من شعره العصري قائلاً : « نيا هو لاء ، نعم ، هذا شعر عصري ، وفخره أنه عصري ، وله على سابق الشعر مزبة زمانه على سالف الدهر » . ورسم في هذا البيان خطته فقال بأنه لا ينظر « الى جمال البيت المفرد ولو أنكرك جاره ، وشاتم أخاه ودابر المطلع ، وقاطع المقطع ، وخالف الختام » . فقضى على نظرية الجمال في البيت الواحد ، والشاعر بالبيت المفرد ، وأراد أن يكون الجمال بجملته القصيدة « في تركيبها ، وترتيبها وتناسق معانيها ، وتوافقها ، مع ندور التصور ، وغرابة الموضوع ، ومطابقة كل ذلك للحقيقة ، وشفوفه عن الشعور الحر وتحري دقة الوصف ، واستيفائه فيه على قدر » كما قال .

بهذه الصرخة كان خليل مطران يرسم الشعر لنفسه ولجيله فيقول : « انه شعر المستقبل لأنه شعر الحياة والحقيقة والخيال جميعاً » . وعلى هذه الخطة سار في ديوانه الأول يواكب العصر والزمان ، فقتل في بعض ونجح في بعض ، ولكنه سار على الدرب ؛ وصارت قوافل الشعراء مثله على الدرب نفسه ، في المهجر ولبنان وسورية ومصر ، لأنها أحست كما أحس بضيق المعاني ، فأرادت أن تفتح على الغرب ؛ نوافذها ، تطل على ألوان جديدة ورسوم جديدة شريطة أن تستمد جذورها من عبقرية اللغة العربية وغناها وجمال طواعيتها للمعاني البعيدة المولدة ، فهي قد أعطت أبدأ على الزمان لم تمنع ولم تفض .

وفي هذا الديوان الأول طغى شعر القلب على كل شيء حتى قال مطران نفسه : « الحب ثلاثة أرباع شعري » ولعله أراد أن يسد النقص في قصص الحب

لمصره ، فيلاً الخالي من حافظ ويوضح الخفي من شوقي ، بل لعله أراد أن
ينصهر لهذا اللون في معركة الشعر ، على قصص جميل جديد .
كان في حديقة الجيزة أصيل يوم ، فرأى فتاة تنظر في عيني أمها ، وتصلح
شعرها ، فوصف منها الشباب والقوام وقال :

جلست تقابل أمها وكأنا	كناهما جلست قبالة رسمها
وتناثرت ضفر الفتاة غمائمها	صنرت عن الأَبصار طلعة نجحها
فصيرت فيها تحاول وهي قد	أعيت بلا صرآتها عن نظمها
فدنت تحاذي أمها وتناظرت	ببيونتها وجلت سحابة همها
وكذا الفتاة إذا أضلت ساعة	صرآتها نظرت بعيني أمها

وأحب أن نلتفت الى الرقة في الوصف والتغزل ، والتخلص ، لقد أعارها الخليل
من شعره مرآة جلت وصفها وهو في الثانية والمشرين ، وأنامله ماتكاد تقوى
على صنع المرابا ورسم الأتواح ، فاذا أمسكت بازميل النحات والمثال ، طمحت
الى مثل ما صنع الرومان في بملك .

ودرجت السنوات وازميل الفتى ينحت من قصص الحب موهودة وصروية ،
كأنه ترجمان القلوب وبستان الأُحبة ، يسيل دمه حيناً في فرح ، وحيناً في
أسى ، فهو بيت شكوى المحبين ، ويفضح أفاصب المفرمين ، ليخفي وراءها
هواه وآلامه . فكان يقلد الرومانسيين ويتبع ألفريد ديفيني حين يتحدث هذا
الشاعر عن بنت بفتح وقد نذر أبوها قرباناً أن يضحي بأول شخص يلقاه حين
يعود متصراً ، فاذا بابنته تخرج أول من يخرج للقائه ، أو حين يتحدث فيني
عن الحب في قلب موسى الحكيم عليه السلام ، بل لعله يشبه بلالي موصه
الأربع ، والألم ينبع من نفس الشاعر ، والآلهة تحثه على الصبر ، أو أنه
شبه بقصائد موصيه في الصفصاف ، ونامونا ، ورولا ، وكها تتغنى بالحب الباكي
والفرام الحزين .

وعلى متن هذه القصائد الغرامية التي نسجها مطران ركب الى ساح الشعر الغربي ، فانتقل من ميدان المقطعة الفزلة أو مطالع النسب التقليدية الى قصائد جعلها يرمتها لهذا الغرض ، وصف فيها الهوى بين الفتى والفتاة وترجم ما كان بينهما من لقاء ، وأحداث ، وعواطف ، ومشاعر . فأصبح الشعر على يديه طامحا الى أن يجاري أدب القرن التاسع عشر في فرنسا . وبذلك رسم مطران قصص الهوى في نفوس غيره ، فوصف ضلوع الأحبة وأفتدة المشاق النساء ، وقام للشعر الرومانسي في جوى وحرقة وألم . واستعمار قلوب الناس ليرسم ما في قلبه .

وألح مطران على ذلك حتى كانت قصة حبه سنة ١٨٩٢ ، وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، فنظم قصيدة جعل عنوانها « حكاية عاشقين » وقدمها بقوله : « تتبع الناظم وقائمه ، وكان فيها ترجمان ضمير العاشق ولسان فؤاده » . وهذه القصيدة استهوت النقاد ، واستحوذت على إعجابهم ، فحدثوا عنها ، لأنها حقاً أطول قصائد المشق في الأدب العربي ، بل إنها مجموعة مقطعات وقصائد يتغير فيها الوزن والقافية ، ويظل المعنى متلاحقاً متتابعاً ، كأنها مسرحية شعرية لتكم واحد (مونولوج) . وصف فيها مطران رواية الحب منذ اللقاء حتى الختام ، فيها حديث القلب ، ونعيم الحب ، تحت ضوء القمر أو في ظل الشجر ، أو على النيل المبارك ، وفيها الغضب والرضا ، والصحة والمرض . وقد ختمت بفاجعة ، لأن الفتاة صافرت الى الشام ومرضت وماتت . ومرض الفتى حتى لكانه رسم محيل ، أو بيت عتيق شيد فيه لعابد ورع مقام . ثم وجد الحب مندبلاً بين ملابسه أبلاه مرور أعوام لم يسلم منه إلا الموضع الذي طرز عليه حرفان مشتبان من اسم حبيبته ، فاستبكي وراح يبني شعراً وختم القصة بدمعة على فبهما ونجوى في ذكرها .

وهذه القصيدة المتقطعة في أوزانها وقوافيها وقعت في ديوانه على ست وثلاثين صفحة ، فكانت قصة الحب الطويلة ، هي قصة الخليل نفسه حزت كيانه فيما قيل ، وبدلت من شخصيته ، فعاش أعزب لم يتزوج بعدها أبداً ، وقد قالوا ان هذه الصدمة المنيفة كانت نهاية حبه ختمه حبيبا ، فمات عذراء ، وقضى عمره شهيداً الحب ، فكانت نهما من مسرحيات شكسبير .

وبعد أن عرفنا القصة نحب أن نستمع الى صور قليلة منها ، مثلاً على أسلوبه في الغزل القصصي أو قصة الغزل ، قال يرسم أثرها في نفسه :

ان لي في الغيب الفأ قد نأى عني تقورا
حجت منه الليالي عني الصبح المنبرا
منية قد أصبحت في خاطر الدهر ضميرا
فارق الدنيا وأبقا في جزوعا مستطيرا
أبقي السير اليه حيثما بات قريبا

* * *

فاذا أدركته أطفأ ت من وجدي السهيرا
واخذنا فاغندينا مزج روحين مسرورا
نقعة إن هي إلا نسمة ضمت عبيرا^(١)
أو شعاع ان تبينت فنور ضم نورا

وبمف الحبيب عن لقاء غيرها على كثرة ما وقع له من فرص ، فيقول
مناجياً مندليها :

وكم عرضت لي غايات فمفتها وصنت ضميري واللسان المشبا
وكم بلد وافيته مثلها ففادته أدمى فؤاداً وأكابا

(١) في الطبعة الثانية : « وتألّفنا على الدهر نسيّاً وهبيراً » والبيت بعده : « أو شعاعاً » .

وما زال هذا الحب في مؤبدا مكينا نبت عنه السنون وما نيا
وما زلت يا منديل ليلي ملازمي تنشقني الذكرى نسيماً مطيبا
أصابك ناب قارض من ثم البلي الى موضع فيه اسمها فتجنبا
وغال فؤادي البين الا بقيمة قضى الحب أن أحيها يربا فأعذبا

وسافر الخليل بعد هذه المأساة الى الشام سنة ١٨٩٩ ، ليستشفى من جراح قلبه
وجسده ، ويرى من جديد مدينته بطلبك وجارتها زحلة « جارة الوادي » .
فلما عاد الى مصر أقبل يستمع الى قصص الحب والهوى ، يرى فيها صورة حبه
ونشيد أيامه ، فيصوغها ألحاناً يبثها ألمه وبكائه ، فهو مشوق حين يلقى العاشقين .
وكان أن وقعت اليه قصة فتاة أحاطها الحب من الطهر الى السقوط فنظم فيها .
هذه الفتاة فلاحية قدمت مع المهاجرين ، وكان أبوها وأخوتها في فقر مدقع ،
فمضت تستجدي الأوكف من السابلة لتعمل أسرتها ، فلما أصبحت ضحية جميلة
دفعها أبواها الى حانة ترتزق منها ، وتصبب عيش أهلها ، فراحت في هذا القبو
العفن تشرب وتسقي حتى نصب لها شاب مخادع حبال الصيد ، ومناها بالزواج
فأطاعته في الهوى حتى كان له منها ما أراد ، وحملت جنين غير مشروع ، فتركها
ولاذ بالفرار . وقامت بعده آلاماً مبرحة من ذل وفقر وعار ، فمات ضميرها
وقضت على جنبها الشهيد ، ونسبت الذي كان من شرف ، وغدت في خمارتها
الجديدة ، بؤرة للسقوط ، لتشهد العالم على شرور الرجال وضعف النساء .
وهذه القصة ليست جديدة ، لأنها قد تقع في كل ساعة بالشرق والغرب ،
إنها قصة آدم وحواء ، جنت حواء فيما قالوا صرة ، فراح آدم يجني في كل
صانحة صرات . ومسارح باريس مشفوفة حبا بهذا اللون ، شهدها مطران
وفهمها ، وتأثر بغادة الكاميليا وأخواتها فيما تأثر به .
والمهم أن مطران نظمها في قصيدة طويلة كذلك استغرقت ثماني عشرة
صفحة متملة لا انقطاع فيها ولا عناوين بينها ، على بحر واحد ، وروي مختلف ،

في أبيات خمسة جعل عنوانها « الجنين الشهيد » وقصّ فيها حكاية الحب ، فكانت من الغزل القصصي البارع ، وكانت القصيدة المدوية التي دفعت الشاعر الى الشهرة ، قرأها نجيب الحداد فقال : « ان هذا المذهب في اعتقادي هو مذهب الشاعر في المستقبل » . وقال صاحب مجلة سر كيس : « انها اليازة الشعر الحاضر ، ومعلقة النهضة الشعرية العصرية » . وذلك لأن الشاعر اعتمد على وحدة القصيدة ، فكان كالغريبين سواء ، سواء ، حتى لكان قصيدته مترجمة أو منقولة . وانها على بساطة في الأسلوب وسهولة في اللفظ ، ولو انها لا تقف للشعر الجزل الذي كان يرسله شوقي وحافظ .

ومردّ النجاح عند مطران في هذه القصائد القصصية للغزل هو هذا الوصف الذي كلف به الشاعر ، وطابعته ريشته في رسمه ، فصور الحب تصويراً ، وكان في هذا الباب الشاعر الوصاف . فكل غزله يعتمد على القصة ، والقصة تعتمد على الوصف والتصوير ، وقد كانا من أكبر الأسباب في شهرة مطران .

*
*
*

ان الوصف كان على لسان شاعرنا تصويراً للمنازع والمشاعر والمواقف ، وكان تصويراً للمشاهد والجمادات ، تأثر فيه الغريبين ، وشفق حباً بالألواح التي خلدها شعراؤهم . فأراد أن يكون في أدبنا رسام المشاهد الكاملة حتى لقد وازنه النقاد بابن الرومي على بعد ما بينهما من أهداف وأغراض .

والحق أن الخليل اعتمد على الوصف في مديحه وفي رثائه وفي قصص الحب ، فوصف الرجال أحياءً وأمواتاً ، وصفاً انتزع من صميم الحياة ، في خيال قوي وشعور واسع ، وحبوبة فياضة كانت بنايماً من صباه ومن رحلته ومن ثقافته ونفسه .

فخلف منذ صباه مشاهد في الوصف جميلة ، لعله استقفاها من صور الصبي
وتقوش بملبك ، فسعت بداه الى نحت تقوش نابليون الأول حين انتصر ،
ونابليون الثالث حين انكسر ، وكان في هذه القصيدة الفتية يربنا أول محاولة
لوصف القتال ، والفناء ، والبشرية المتخاربة فقال في نابليون :

المجد رهن إشارة يمينه والنصر بين يديه كالنقصاد
والفخر في رايته ممثل وطلائع العقبات في ترداد
الى أن قال في الرصاص والقتابل :

تلقى الرجال على الثرى قتلى كما يلقي السنايل منجل الحصاد

واتخذ سبيله الى صور العقبان عن شعرنا الحمداني ، وصور السنايل عن الشعر الفرابي ،
ووصف الجيشين يلتقيان ، والعتاف يعلو ، والآلات تتجاوب ، والنار في كل
مكان كالشهب الضخام والردى غاد وآت ، والجراح تسيل ، والأمهات يبكين
الأولاد ، والحزن يعم . فكان مطران بهذا انسانياً يهتم بالمنحاربين لا بالقادة
فحسب ، وينظر الى الشعب وما تكلفه الحرب حين الانتصار والانكسار من ألم
وفقد وخراب . وهي نظرة بعيدة لشاب ناشئ .

فلما أراد أن يصور آثار بملبك ، ويرسم الحجر ويستذكر طفولته وعموده
حين يلهو بهند وتلوه به هند ، وصف حاله وحالها كالغراش يجربان في الرياض ،
ثم يلتقيان على قبلات عنيفة تحاكي الندى في الأسحار ، ثم انتقل الى الحجر
والجماد فقال :

صنموا من جماده ثمراً يميني ولكن بالعقل والأبصار
وضروبا من كل زهر أبقى لم تفتحها نضارة الأزهار

وشموماً مضيئة وشعاعاً باهرات لكتها من حجار
 وطيوراً ذواهباً آيات خالداً الغدو والابكار
 في جنان معلقات زواه بصوف النجوم والأنوار
 وأسوداً يخشى التحفز منها ويروع السكوت كالتزآر
 عابسات الوجوه غير غضاب باديات الأنبات غير ضواري
 في عزائنها دخان مثار وبألحظها سيول شرار

وكثيرة هي ألواح الوصف عند مطران في هذا الجزء الأول من الديوان ،
 ما نستطيع أن نستعرضها كلها ، فهناك قصيدته في فتاة الجبل الأسود وفي المساء
 والفروب تحمل ألواناً مختارة من الشعر ، ولكننا نحب أن نختم بصورة عن مصر
 تقف لصورته عن بعلبك ، وصف فيها بناء الأهرام فقال :

اني أرى عدء الرمال ههنا خلأئفاً تكثر أن تقعدا
 صفر الوجوه نادياً جباههم كالكلأ اليابس يملوه الندى
 محنية ظهورهم خرس الخطى كالنمل دب مستكناً مخلدا
 مجتمعين أبحراً منفرعين — من أنهرأ مخدرين صعدا
 أكل هذي الأنفس المألكي غداً تبني لفان جدناً مخلدا

وهذه الأبيات على ضآلة موسيقاها ، تليق بالصورة العالمية للشعر ، ففيها براعة
 الازميل عند المثال ، وفيها نفسية الشاعر الإنساني ، وقلب الشاعر الاشتراكي ،
 وعقل المواطن الصالح . ذلك لأنها تأمى لأمى الشعب ، وتحنو عليه ، فلا تقف
 نفسها على مدح أمير أو تمزيبة وزير أو رثاء كبير ، وإنما تتلفت الى البشر
 لتصنع منه تماثلاً ناطقاً ، يصور الألم والحزن والبشرية الممذبة منذ ولدت الى
 أن تموت .

وهذه الآيات جزء مما خلف مطران لأدبنا ، صرفته الحياة ومشاغفها عن
الافتقار فيه والتجويد ، فلم تكن مهنته الشعر فحسب وإنما كان يسترق الوقت
من وظائفه في الزراعة والاقتصاد والأوبرا ، ومن أوقات مرضه ليصوغ هذا
الشعر الانساني الذي رفعه الى مواضع الإكبار والذكرى الخالدة ، فقد كان
مطران أديباً بروحه وخياله مخلصاً لفنه وأمته بشعره ونثره ، محباً للتاريخ في
ديوانه وفي تصنيفه ، عبر عن ذلك في حياته الخاصة وفي شعره الكثير فكسا
حياته وأدبه أجمل أبراد الحياة ، واستحق منا أجمل ماتمب الحياة خلوداً على
الدهر ، وعرفاناً على الأيام .

الدكتور محمد ساهي الدهان

نسخة تاسعة

من ديوان ابن عنين

- ٢ -

(٦) وقتل الملك المعظم أسداً بالقور فقال شرف الدين بديهاً :

يا ملكاً من بني الأكامرة الأقيال أهل التيجان والسُرر
لا خدمتُ نارك التي تُحرق الكفرَ وترمي الصليبَ بالشرر
ثبت لا زلت دائماً تقنص الأسد لعزم أمضى من القدر
ماذا حلوا^(١) عنك عند فتلك الليث ولبس العيان كالخبير
من وثبات ومن سطى^(٢) وثبا تـ قل ما يمتحن في بشر
ثم جميع الأنام قالوا وما فاهوا بيمين في البدو والحضر
ها ملك الوحش صاده ملك الانس فله ذاك من ظفر
اني^(٣) (?) عظيم المقدار لم يأت إلا بعظيم في الخطب والخطار
قدس عيسى المعظم الملك المظهور للمعجزات والسيد

(٧) وأهدى اليه بعض أصدقائه صابوناً وماء ورّد بعد نبوة كانت بينهما فقال :

فني أهدى إليّ البوم صابوناً وماورّد
ليضل عرضه مما بدا منه وما يُجدي
ولو بالبحر أو بالقطر أو بالفيث ان أهدى

(١) كذا .

(٢) سطى أخلت به المايم ولطه الواوي لو ثبت .

(٣) له إن .

- ٤٦ -

ولكنني غفرتُ له ذنوباً حَجْمَةً مُتردي
وما قلت الذي قد قلت عن قصد وعن حقد
فلا تحش أذى السيف إذا ما كان في الفهد

(٨) وأهدى إليه بعض أصحابه جُبْنًا فقال فيه :

نفسى الفداء لمُهْدِي إليّ سَلَّة جُبْنِ
رطباً كمثل لساني في مدحه حين بُثِي

(٩) وعَنَى بعض المطربين في حضوره بهذين البيتين وهما :

هَبَّجَ الشوق حجابي وحدا الوجه رِكابي
وجفا^(١) المضجعُ حتى هجر الطيفُ جنابي

وسأله بعض الأكابر أن يزيد عليها^(٢) فقال :

وهو من فرط غرام في نخب وَاكْتِتاب
طائر العقل حزين لبس مُهْدَى لصواب
في هوى ظبي غمير فاتن حلو التصابي
ما يراه الله إلا لصادي وعذابي
أين أبامي المواضي لو أُعيدت وشبابي
هل لما فات رجوع من وصال وتصابي

وكان أبلٌ من مرض واحتاج الى فتائل عَنَبَرٍ مصنوعة بفخْم الكرم (١٠)
فكتب الى الشيخ تاج الدين^(٣) أبي اليُمن زيد الكندي رحمه الله يطلب منه
شيثاً من ذلك بقول :

(١) الاصل وخطى .

(٢) الاصل أن يزيدما .

(٣) النحوي المعروف ترجم له كثيرون .

يا أيها المولى الذي عرفه يفضوع كالسك مع العالیه
 مبدل وقد ألبسه الله (كذا) من لطائف البرء حتى حالیه
 وكل هذا بسمادات مو لانا ومن همته العالیه
 وهي التي قد أصبحت نرجحی بأنها تنظر في حالیه
 لكنني أسأل من فضله طيباً له من خشب الدالیه
 ففسره لاشك من نشرك الطيب يحيي الرمم البالیه
 فان عندي كاسمه ضده نمرته^(١) الساعة من مالیه
 والكرم^(٢) مفهوم فوا خجاتي من كل ما قلت وإدلالیه

(١١) وعمل صفي الدين بن شكر رحمه الله مقامة فأخذها شرف الدين يطالعها
 وكتب على حاشية الكتاب :

مقامة مولانا الوزير جليلة سمت وعات في الناس مثل مقامه
 غدت أبحراً في عظمها وهي قطرة اذا نبتت من فضل بحر كلامه
 يقوم لها الأقوام من عظم قدرها كما قعدوا عن نيل بعض سرامه
 حوت من فنون العلم كل غريبة وأعجوبة من نشره ونظامه
 فكم خبر مع آية جاء ضمها وشكل معني مشكل في انجمه
 تعالى الذي أعطى الوزير مناقبا يفوق بها في مصره وشامه

(١٢) ونادله الملك المعظم يوماً رسالة بخط ابن البواب فتأملها ثم قال بديها
 من صاعته :

خط علي بن هلال غدا في حسنه كالأعين الدمع
 ماخط في درج ولكنه صمط لال خط في درج

(١) الاصل نمرته .

(٢) الاصل واكرم .

وكتب علي يد الشيخ الإمام العلامة نجيب الدين أبي الفتح نصر الله (١٣)
ابن الصفار المعروف بابن الشقيشة شفاعته للأمرير محمود الارموي نسيب ابن الجاور
الى جهاء الدين محمد بن التبيي :

أبها السيد الذي جعل الحمد لراجيه واجباً مفروضاً
في صدق رأى ثنائي طويلاً ومدبجاً حماً وشكري عريضاً
وقيامي في كل واد حوى السا دات أتلو مآثراً لك ييضاً
ظن خيراً وقال لي صله في أمري وعرض بجاجتي تعريضاً
فصاه بربش مني جناحاً غادرته يد الزمان مهنضاً
قلت دعني فان جاهي صريض وصرريض فلا يسداوي صريضاً

قال نجيب الدين فقبل شفاعته والتزم طاعته وجعل ميقات قضاء حوائجه ساعته .

وقال في وصف برك اللينوفر :

(١٤)

فكأنما البرك الملاء يحفياً أنواع ذاك الروض والزهر
بسط من الديباج يبيض فُرُوزت أطرافها بفراروز خضر

وقال يوماً للشيخ نجيب الدين ما أحسن ما تحفظ في التشبيه في الفزل (١٥)

فأنشده في صبي حائك :

غزبل لم تزل بالفزل جائلة بنائه جولان الفكر في الفزل
جدلان نلعب بالجوواك أغلده على السدى لعب الأيام بالدول
ما إن بني تعب الأطراف مشتغلا أفديه من تعب الأطراف مشتغل
جذباً بكفيه أو فحصاً بأخمصه تحبظ الظبي في أشراك محتبل

فقال شرف الدين أشهد بالله لقد تستحق هذه الأبيات أن تكتب بدوب

السعادة على صفحات الزمان وتقام في الشرف على الشمر مقام الانسان من

الحيوان ثم فكر ساعة وأنشد مرتجلاً :

م (٤)

وأهيفَ يحكي الفصنَ رلينُ قوامه وتفرّق في ماء النعيم غلائله
 إذا ما بدا من شمّره في ذوائب رأيتَ غزالاً لم ترّعه حباله
 فلما سمعها الشيخ نجيب الدين اهتزّ لها اهتزاز الطروب للأغاني وأقسم أن ليس
 لقائلها ثاني ، وقال من حق هذه أن تنكّب بقاء الأهداق على صفحات القلوب
 وأن يستنزل بها القطر بعد القنوط وتسطلع بها الشمس بعد الغروب .

(١٦) وكتب إلى صلاح الدين الأيوبي الكامل بالديار المصرية وهو مريض يستزيره :

علّ ريج الشمال تحمل أشوا قي وتهدّي تحيّي وارتياحي
 ثم تشكو إليكو جور دهر بزّني قوّتي وقصّ جناحي
 ألبستي صروفه ثوب سقم غيّضت شرّتي وبان مراححي
 كلاً قلتُ قد تنكّب نبل الدهر عني رمى فأصمى جراححي
 وصلاححي في أن أراك فإن لم بأذن الله لي عدمتُ صلاححي
 فهنيّاك لا تمسي كفك السبط ومراي^(١) جبينك الوضاح

(١٧) وعمل هذه الأبيات لما سافر الملك الناصر داود إلى إربل سنة ١١٧
 ينشوّفه ويذكره :

عليك سلام الله داودُ حيثما نبوّات من مستوهر ودّها^(٢)
 ولا زالت النعما لبّيك كلما ذوّي ملتبسٌ بدّلته بلباس
 رحلت فلا والله ما المباش بعدك الهنيء ولا الناس السراة بناس
 كريم ذخرناه لعام محاذر^(٣) ويوم مباهاة وصاعة باس
 وإن حلومًا لم تطش يوم غريبة النوى كالجبال رومى

(١) الاصل ورأى .

(٢) الاصل دماس .

(٣) كذا .

فيا قلب عيسى هل من الصخر كؤ
نت حصانك أم كل القلوب قواس
فيا نفس لا تستمتعي بمسرة
وبامقاني لا تطعمي بنعاس
فمالك من أمر الفرام مخلص
ولا لك من داء الصباية آس
وما هاجت الذكرى إليك صبابتي
ألا اتنا الذكرى تهبّيج ناس^(١)
وإني لأرجو الله والله قادر
على جمع شمل منك بعد إياس

تمّ فصل الماجرّبات

الفصل الرابع

في الألفاظ والواجبة فيها وما دار بينه وبين الفضلاء فيها

ص ١٤٩ س ٩ أصلنا : تدوج ومقلات وهو الصواب . على ما اختاره
محققه . وأصلنا وما لامست ذكر .

ص ١٥٠ س ٣ : يريد العمق والرّرب .

ص ١٠ : يتلوه صادم .

فبين الآت ما أقول فما تروكت مبراً من أمره يكتم

ص ١٥١ س ٣ : يريد الورا (الخلف) وحرف الشين .

بعد س ١٥ :

وقال أيضاً ملفزاً في الفدند :

(١٨)

وما اسم رباعي إذا ما قلبته تراه^(٢) على التكرار من آلة الفنا
كما أنه من غير قلب نرونه إذا ما حلتم جوزه^(٣) موجب العنا

(١) ناسيا .

(٢) يرى الفم مكرراً ، وقطع للفدند (البيداء) لا يخلو من عناء . والجوز الوسط .

(١٩) فقال أيضاً لُغزاً في لآ حوق :

وما اسمٌ شخاميٌّ إذا ما طلبته وكننت نفسي عادة ما عهدتها
فإن قيل لي حرفان من أول اسمه ودرتُ بأن الروح مني فقدتها

ص ١٥٢ س ٥ : تداعت وكذا في أصلنا ولا غبار عليه .

ص ١٥٣ س ١ : عندنا مجد الدين محمد نسيب الامام فخر الدين محمد

ابن عمر الرازي .

ص ١٥٣ س ٢ : أصلنا : ذا عينين ما .

ص ٦ : أصلنا : إذا 'حز' غدا نازياً فأعجب وصفُ .

ص ٨ : أصلنا : اقتضبتُ والحلأ .

ص ١٥٤ س ٢ : أصلنا : إليه رجاء .

ص ٣ : وترؤى متى نروي . ونظماً اذا .

ص ١٥٥ س ٢ : 'حكة' 'حكا' .

ص ٧ : أصلنا : ألفت . يريد الخليل الفرس .

ص ٨ : الخلال في القول والمحل .

ص ٩ : أصلنا : لا يبخل .

ص ١٦٤ س ٥ : أصلنا : الطفل في الدار إن حضر .

ص ١٦٥ س ٨ : أصلنا : وصارية .

ص ١٥٧ س ٧ : اللُغز في أصلنا مختلف ونصه :

وما اسم رباعي اذا زال نصفه غدا حال حُرِّ شفه طول هضمه

وإن حسبوا ربع اسمه وتبينوا له عدداً ألفتَه . باغ اسمه

قوله : غدا الخ أي بقي قرء ماض من الفرار وهو حال حُرِّ منه المضم

الظلم . وقوله وإن حسبوا رُبْع اسمه يريد الميم وهو في حساب الجُمَّل أربعة

(كذا بدل أربعة) وحروف الاسم جميعه أربعة فرُبْعُه يقاومه .

ص ١٥٨ س ٥ : ملفزاً الخ ورد بيتا الألفز بأصلنا وهما :

ما اسمٌ رُباعي ولكنّه فعلٌ لَدِيدٌ طولٌ يترداده

إن صلّبوا أوّلَه يفتدي وصفَ طُروبٍ عند إنشاده

فأجابه شرف الدين بديهاً : يا جامع الفضل البيتين .

ص ١٥٦ س ٥ : أصلنا : في القلب منشراً .

س ١٠ : المتاح بالقلب حاتم .

ص ١٢٥ س ٥ : أصلنا : الشرف الأعلى موضع في ظاهر دمشق يُسدون^(١)

فيه الحاكّة الغزل . وكان له عمّ يقال له المجد فيه بذاعة وصفاهة يقاب بها

الاهزار اه مجدي : وعمّي المجد .

ص ١٢٢ س ١ : أصلنا : ملفزاً في رجل حائك صار قاضياً ببلاد المعجم

وتسجها على ذلك المنوال أيضاً . وخيل إلى القاضي حين سمعها أنها مدحج

وأجازه عليها . وعندنا دَيندور .

ص ١٢٢ س ١٢ : أنا ملك الوصاع .

ص ١٢٨ س ٧ : للغلائق .

ص ١٧٤ س ١٢ : عندنا وقال أيضاً ملفزاً في الكاركة التي يُستخرج بها

ماء الورد وكتب بها على يد الشيخ نقيب الدين الى عفيف الدين بن عدلان

الموصلي النهوي ، اليميني وأرى الكاركة فارسية أصلها كارگاه موضع العمل

أي العمل .

(١) من باب أكلوني البراغيث . عامة .

- ص ١٦٧ من ١٣ : إذا ما اقتدى . . . بحُكْمِهِمْ
- ص ١٦٧ من ١٤ : إذا ضمَّهم فترًا وهو الصواب
- ص ١٥٨ من ١١ : فلستُ أجيبُهُ .
- ص ١٧٥ من ٢ : أصلنا : الفوا في خدودها (١)
- ص ١٦٨ من ١١ : السكيت يوم الفخار .
- ص ١٥٩ من ٣ : وكشف السِتر عيًّا .
- ص ١٧٢ من ٦ : جمع البيضة بيض بنقصان حرف . (صبت)
- مصحف عكسه .

- ص ١٧٢ من ٨ : محمد انخوارزجي .
- ص ١٣ : تنقصنا الفرزدق أو .
- ص ١٧٤ من ٢ : أصلنا : 'يرى كبر' .
- ص ٤ : أصلنا : بين نهي .
- ص ١٦١ من ٢ : أي إذا جعل اليأس بأسًا بالموحدة .
- ص ١٣ : وعدة مبيعة .
- ص ١٧٨ من ١ : بليه :

وقال أيضًا لُنزًا في شمع :

(٢٠) لي حيب الخد ماشين بالمدار منه ذلك الطرس (كذا)
 كأنه الشمس ولكنّه نكسف إن قابَلها الشمس
 لو ان تصحيف اسمه وصفه دامت له الراحة والأنس
 ثلاثة أحرفه إنما تصحيف معكوس اسمه خمس

(١) وفي ص ٨ الألفبائي .

وقال أيضاً لفرأ في شبل : (٢١)

لي حبيب سمّوه باسم عجيب ليس^(١) تصحيف عكسه بيقين
باسم شيء تخافه الأانس والجن وتحمي حماه أسد العرب
تقطوا رأسه بنصف^(٢) الثريا ولعانيه راقص الشين (كذا)

وقال أيضاً ملفزاً في الطير المعروف بالقطرب وهو طير يلعب في الليل (٢٢)
كأنه السراج أو الكوكب :

وما اسم اذا شاهدته ورأيتَه ترى عجيباً من صنع معنى لنصفه
تشاهد منه آبة في حنادس الدجى حين يبدو وهي غابة وصفه
يحاكي^(٣) الشهاب ثاقباً في سمائه على أرضه فانظر له واضعفه

وقال أيضاً ملفزاً في اسم نصر الله وكتب بها الى الملك الأعظم (كذا) : (٢٣)

وما اسم صباعي سمينا بشخصه
وان الذي يبقى الفداة من اسمه
فقل ما اسمه ان كنت تفهم أنه
ثلاثة أصباع لذي السمع تصحبه^(٤)
بلا شبيهة يعطيه عيسى وبوهبه
من الله في كل المواطن تطلبه

وقال أيضاً ملفزاً في الخلد : (٢٤)

وما حيوان لا يرى ما يضره
فقر فلا عين ولا ورق له^(٥)
له جنة ماجازها منذ حازها
اذا ركب الخيل الجياد أذلها
وينشته في ليله دنهاره
والكنه يفتنى بحسن اصطباره
والكنها محفوفة بالمكاره
وأهزلها من بأسه واقتداره

(١) عكسه لبس ومصحفه (ليس) باليمين .

(٢) ثلاث نقط ويقال ان نجوم الثريا صبة :

اذا ما الثريا في السماء تعرضت
براهها الخليلد العين صبة انجم

(٣) الأصل حكى لشهاب ثاقب . والله اعلم .

(٤) الأصل يصعبه .

(٥) الأصل هنده .

هذا مليحٌ جدّاً . (هنا انتهى الورقة ^(١) وبتلوها على الآتيه ماسياتي من

دون عنوات) :

(٢٥) وروضة من أديم اللحم منبئتها أزرى (؟) بكل حرير حيك بالذهب

تبارك الله كم فيها وحل بها من آبة أودعت حقاً ومن عجب

أكرم بها روضة أبدت زخارفها وما ألم بها صوب من السحب

فأبرزت كل لون فائق حير وكل شكل بديع الحسن منسب

(٢٦) وقال أيضاً لغزاً في أرغش :

وما اسم رباعي من الترك قدته بقُدّ قوادّ المبتلى أيعا قدّ

ينيه بمكوس الثلاث من اسمه وتصحيفه من وافر أسود جمّد

نرى الصبح يبدو من أسرة وجهه على فرع ليل طائل (؟) لاح مسودّ

تمّ فصل الألفاظ .

الفصل الخامس

(المطبوع ص ١٢٩) في الأهاجي التي وجدت له عفا الله عنه ، ولم تكن

قصده بها الفية والتب ولا المآبية والسب . لكنه كان يرى المعنى يشتهي

نظمه فلا يتأتى له إلا في الهجو فينظمه مداعبةً مع أنه لم يفحش في الهجو .

وأنا أسأل الله له العفو . ودليل ذلك قوله في بعضهم :

ما إن مدحتك أرتجبي لك نائلاً فحرمتمني فذمتُ باستحقاق

البيتين ص ٢٠٢ .

(١) أي يمكن أن ينخل الورق من خرم .

قال يهجو جماعة من أهل دمشق بقصيدة سماها مقراض الأعراس (ص ١٢٩) ٥١
في صرّاة الزمان ٨ × ٦٩٦ حيدرآباد أنها في ٥٠٠ بيت . وللموفق ترجمة
طويلة في صرّاة الزمان ٨ × ٤١١ أيضاً .

ص ١٨٠ س ٦ : الضب بفرّ من الماء ومن أمثالهم : يني وبينه كما بين
الضبّ والنون ، (الحوث) .

ص ١٨٠ س ١٠ : للخط .

ص ١٨٢ س ١ : كنية السر (كدا) .

س ٥ : من جبل . و (من جبل) من خطأ الطبع . ورواية

البيت عندنا كرواية الصلب .

ص ١٨٢ س ٨ : من حادث ومن خطب .

ص ١٨٣ س ٣ : أو يتشع ما وراهم .

ص ١٨٤ س ٤ : شمال بالضم (المني) .

ص ١٨٤ س ٦ : والأب والجّد .

س ٧ : كان القاضي الفاضل أحد .

س ٨ : ناديت بالاقترين ويحكمو انيت .

حدثني بعض من كان يصحبه أن هذه الأبيات التي هجا بها أهل دمشق
لم يكن له فيها غرض ولا أرب ولم يخطر بباله ، ولا في هؤلاء المذكورين
أحد كان بينه وبينه ما يوجب الهجو . وإنما الباعث على ذلك أنه لما كان
ببلاد المعجم سمع رجلاً ينشد الشريف ابن^(١) الهبّارية البامبي قصيدة يهجو بها

(١) توفي سنة ٥٠٤ هـ كان خيث السان هجاء برني فيه على ابن عنين وغيره وله
الصادح والبالغ وانظر الرقيات (عبد بن محمد) ومرآة الزمان ٨ × ٥٨ والقصيدة
هنا مصحفة غاية التصحيف ووقفت عليها بمد لأي في تاريخ آل صلجوق لهامد
مصر ص ٦٠ وقد أسقطت منها ٦ أبيات لخلل فيها .

أهل مدينة من بلاد العجم فكتبها منه ثم عمل هذه على حسنها (كذا) وحذا
فيها على حدوها ونسج على منوالها .

وقصيدة الشريف ابن الفبارية أولها :

لو أن لي نفساً صبرت^(١) لما ألقى ولكن ليس لي نفس
مالي أقيم^(٢) لدى زعانقة ثم القرون أنوفهم فطس
في^(٣) ماتم من سوء فلهيهم ولهم بحسن مدائحي عُمرس
ولقد غرست المدح^(٤) عندهم طمعاً فحفظل ذلك الغرس
الشيخ عمينهم وسيدهم خرف لعمرك بارد جبين

يعني بالشيخ الوزير الأعظم نظام^(٥) الدين الكندري وزير السلطان ملك شاه .

كجائليق على عصيته بعدو^(٦) ودار خلفه القس
والناصر^(٧) الغندور حتى إلى جنب الوزير كأنه جعس
وأبو الفتوح^(٨) وأنت تعرفه وسهيل مثل الككب بندس
وخليفة الري الخبيث له بالتيس فرط القرب والأنس
وأبو الفنائم في تبظرومه يعلو وليس ليومه أمس

يعني بأبي الفنائم^(٩) تاج الملك بن رئيس الرؤساء .

- (١) الهاد : هربت .
- (٢) الهاد : لي ماتم . واره للصواب .
- (٣) هو نظام الملك قوام الدين وقتل سنة ٨٥ : منتهي المدارس . وأما الكندري (وكندر كبرش قرية بنواحي نيسابور) فهو عميد الملك أبو نصر وزير طغرليك أول ملوك السلاجقة المتول سنة ٤٥٩ هـ خريف لأنه ناهز التالين .
- (٤) من الهاد واصلنا : دابر خلفنا كذا . والنسختان فيها معجم .
- (٥) منه واصلنا : والناصر الهندروجي كذا . و (حتى) تصحيف .
- (٦) الحكيم ابو الفتوح المستوفى النصراني الطوسي من اصحاب نظام الملك تمة الصوان رقم ٢٠ وحواشيا ص ١٨٥ وابن الاثير ٤٧٧ .
- (٧) الوزر بمد نظام الملك صهره وكان السبب في قتله فقتله غلمان نظام الملك شرقة سنة ٤٨٦ هـ وهو ابن ٤٧ سنة . المعروف بابن دارصت .

والزوزني^(١) فيارد سميج^٢ كالموت فيه البرد واليبس
 [و] محمد القصاب^٣ فقهته لا يور قصاي^٤ تسا^٥ ترس
 محمد القصاب وهو عميد الحضرتين^(٢) محمد بن اسمعيل المعروف بعמיד خراسان
 وحريسة الإسكاف^٣ خازنه رخو العجان^٤ كأنه قلنس^(٣)
 هو أبو حرب الخزان كان أقرع^(٤)
 قد صار مال الأرض في يده عفواً وقيمة^(٥) رأسه فلس
 هذي أمور الملك أجمعها فسموده^(٦) بسمودهم نحس
 ولقد هممت بأن أفارقهم وتجدني^(٧) عيرانه^٧ عئس
 لكن ثنائي عن فراقهم علي بأن الناس قد خسوا
 'عمر'^(٨) أروم وأجتيه لقد غمّ البلاء وأشكل القبس
 هو كمال الدين عمر بن محمد الأديب الطفرائي
 متخفف أي أنه ديث^٩ وأخف من حر كاته^(٩) قدس^(٩)
 هذا وكبرائين^{١٠} عندهم كالكب^{١٠} تخب^{١٠} بارد^(١٠) بنس^(١٠)

- (١) أبو المختار كمال الملك، المهاد، ٥٨.
- (٢) مجل بن منصور ابن النسوي عميد خراسان المتوفي سنة ٤٩٤ هـ المتظم ج ٩ رقم ١٩٨. وأيور الاصل لابوار.
- (٣) الأصل قيس. والقلس جبل السفينة الضخم.
- (٤) الأصل قرع أو نزع.
- (٥) الأصل فه.
- (٦) المهاد: فسمودها من اجلميم.
- (٧) الأصل ويجدي عيرانه عيس.
- (٨) المهاد: من ذا أروم... غمّ البلاء وأرى هنا غلطاً وعند المهاد: ص ٥٦ هو كمال الدولة أبو الرضي فضل الله بن مجل صاحب ديوان الاشياء والطفراء قرين نظام الملك ومؤيده. وأرى ابن نيهان خطأ في تسميته.
- (٩) جبل بنجد.
- (١٠) الأصل غير واضح وما كولد. وعند المهاد: بنس.

كوهرايين^(١) هو الأمير سعد الدولة الخادم شحنة بغداد المشكان .
 رجل ولكن ماله ذكر^(٢) أنى ولكن ماله كس
 وأبو شجاع في وصادته كاخرس^(٣) لكن ماله جرس
 أبو شجاع^(٤) هو الوزير في زمان الإمام المستنجد (صوابه المقتدي) رضي الله عنه .
 يعني ويتنقض ما يشده فكأنه متبختر^(٥) بفسو
 أبي جبير^(٦) أرجي وهمو بالأقرب الأقرب صوقة^(٧) نمس
 أعلى أمورهم إذا تفق الطريح^(٨) عنهم أو غلا^(٩) الديس
 والله لو ملكوا السماء كما عرقوا ولا اهتزوا ولا انجسوا^(١٠)
 أم باب^(١١) إبراهيم أقصده هيات خاب الظن والحدس
 قد كان محبوبا وكان له جود^(١٢) فزال الجود والحدس
 أم أعني ابن أخيه مرتجيا علقا^(١٣) له من ظهره ترس
 أدت^(١٤) أيور^(١٥) الترك ففحته حتى ظننا أنه ترس (كذا)

(يتبع) كراتشي عبد العزيز الطيحي

- (١) ترجمته في المنتظم ج ٩ رقم ١٧٣ المتوفى سنة ٤٩٣ هـ والمشكان له لقب
 وانظر جهاز مقاله بالبرية حواشي القزويني ١٣٩ . وفي بلدان باقوت قرية .
 (٢) بالفتح ويكسر الدن والأصل الجرس ، وجرس صوت ، وعند الهاد :
 في وزارته كاخرس لا بل دوله الخرس .
 (٣) هو وزير المقتدي صاحب ذيل نجارب الأمم المطبوع مدحه الحريري ومات
 بالمدينة سنة ٥١٣ هـ .
 (٤) فخر الدولة أبو نصر وزير القائم والمقتدي ومات سنة ٤٨٣ هـ وابنه حميد الدولة
 وزير المقتدي قبل أبي شجاع وخين نظام الملك أبو منصور المتوفى سنة ٤٩٣ هـ
 المنتظم ج ٩ رقم ١٨٢ . وزعيم الرؤساء أبو القاسم علي وزير المختار .
 (٥) نيك صغار تلح .
 (٦) الهاد : ولا انجسوا .
 (٧) من الهاد وأصلنا : فار إبراهيم أقصدها .

الزجاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه « الإيضاح »

- ٤ -

مادة كتاب الإيضاح

يتألف كتاب الإيضاح من مقدمة وثلاثة وعشرين باباً يضاف إليها مسائل صغيرة ألحقها الزجاجي في آخره .

أما المقدمة فيتعرض الزجاجي فيها لموضوعات كثيرة كوجوب الضائفة بالتأليف وسبب وضعه للكتاب وطريقة معالجته للموضوع وسبب تسميته بالإيضاح
وأما الأبواب الثلاثة والعشرون فلن نعرضها هنا كما عرضها الزجاجي في كتابه أبواباً عامة في كل منها نصيب الاسم والفعل والحرف فإذا هو يجمع في باب واحد مسائل متنوعة ومجوتاً مختلفة وحدث بينها المصطلحات
سنعرض مادة الكتاب على أساس تقسيم البحوث التي تناولها أقساماً أربعة ؛
فتحدث في القسم الأول عن الاسم ، ونورد في هذا القسم كل ماله صلة بالاسم من كل أبواب الكتاب . ونجمل القسم الثاني للفعل ، والثالث للحرف ،
وأما القسم الرابع فنعرض فيه للمسائل العامة التي وردت في الكتاب كمسائل الإعراب والنحو وغير ذلك .

- ٦١ -

١ - الاسم

تعرض الزجاجي في كثير من أبواب « الإيضاح » لمسائل تختص بالاسم كتسمية الاسم وصيها ، وحد الاسم واختلاف النحويين فيه وتأثرهم بالمنطق ، واستحقاق الاسم للإعراب ، ومكان الإعراب فيه ، ومرتبة الاسم من حيث التقدم والتأخر بإزاء الفعل والحرف . وخفة الاسم ، وامتناعه عن الجزم ، وتثنيته وجمعه . أما الحديث عن صلب تسمية الاسم فيورد فيه حجة القائلين بأن كل لفظ من اسم أو غيره إنما هو « فعل » للمتكلم الناطق به . ثم يبين أن الاسم اكتسب هذه التسمية لأنه دال على المسئى وصحة له .

وأما حد الاسم فقد أتى به الزجاجي حدًا نحويًا فقال « الاسم ما كان فاعلاً أو مفعولاً أو واقعاً في حيز الفاعل أو المفعول به » وتعرض لما حده به النحاة وانتقد ما كان جارياً من حدودهم على أوضاع المنطق ، ويين أن عرض المنطقيين من حدهم يختلف عن عرض النحويين ، ومن هنا كنا نجد بعض الحدود صحيحة على أوضاع المنطق وهي على أوضاع النحو غير صحيحة ولا مستقيمة .

وناش أصحاب الحدود المنطقية في النحو مبيناً خطأهم . ثم استعرض حدود النحاة للاسم استعراض الناقد فأورد تعريفات كل من الأخص الأوسط وابن السراج وابن كيسان والمبرد للاسم فماب بعضها وتقضه ، واعتذر لبعضها بأن صاحبها لم يرد الحد على الحقيقة وإنما أراد بجمده التقريب على المبتدئين كما هو الشأن عند المبرد الذي اعتذر الزجاجي له ودافع عنه .

وتحدث عن الإعراب ويين العلة في وقوعه آخر الاسم دون أوله ووسطه . فاستعرض ما قاله النحويون كأبي بكر بن الخطيب والمبرد وغيرهما ، وكان يورد القول وما اعترض به عليه ثم يحكم على أقوالهم بأنها كلها أقوال مقنعة .

وأما استحقاق الاسم للأعراب فقد ذكر فيه رأي الخليل وسيبويه ونحاة البصرة ، وأورد حججهم لم تثبت أن الاسم هو المستحق للأعراب دون الأفعال والحروف المستحقة للبناء ، إلا ما عرض له من الأسماء علة منته من الأعراب فدخل في باب المبنيات . ثم أورد أقوال الكوفيين وقدم حججهم . ولكنه وقف قبل تفصيل أدلتهم لينبه على أن هذه الحجج على ثلاثة أقسام ، فمنها ما كان مسجلاً في كتب البصريين والكوفيين فنقله بنقل ألفاظهم لصعوبة فهمها . . . ومنها ما اخترعه من عنده ولكن على أصول القوم ومقاييسهم . ومنها ما تلقاه عن أساتذته وشيوخه مما لم يودعوه كتبهم . ويقطع الحديث هنا لئلا نذكر لنا أساتذته الذين أخذ عنهم فيعدهم ذاكرًا ما يميل إليه كل منهم من المذاهب وفنون العلم . ويعود بعد ذلك إلى ما كان بصدده من إيراد حجج الكوفيين ومناقشتها . ويتعرض الزجاجي في بعض الأبواب لمسائل نظرية تخص الاسم كما في الباب الحادي عشر وهو باب القول في الاسم والفعل والحرف وأنها أسبق في المرتبة والتقدم ، فيصدر الباب بقول جمهور النحاة من بصريين وكوفيين ، وهو أن الأسماء قبل الأفعال وقبل الحروف ، ويشرح هذا القول ويورد الحجج ضده . ثم يعود على هذه الحجج فيوضحها ويبين مغالطاتها وينتهي من ذلك إلى إثبات رأي الجمهور .

ويكتفي في بعض الأبواب بعرض الأقوال المختلفة دون أن يبين رأيه . كما هو الأمر حين تحدث عن العلة في خفة الاسم وثقل الفعل . فأورد قول البصريين ووضحه ثم عرض لأقوال الكسائي والفراء وهشام بن معاوية وثعلب فذكرها دون تعليق .

ومن المسائل التي عرض لها في باب الاسم ، هذه المسألة التي طال فيها نفسه وهي علة امتناع الأسماء من الجزم ، ابتداءً هذا الباب بقوله إن لسبويه في ذلك قوانين ثم قدم أحدهما لأنه المعتمد عند النحويين فشرحه ، وأتى بثلاثة

ردود عليه ثم دفع هذه الردود بقوة ، وانتقل بعد ذلك الى القول الثاني لسبويه وأعقبه بأراء الكوفيين وبعض البصريين ممن خالف سبويه ورأى غير رأيه . وكان آخر ما تحدث عنه الزجاجي في باب الاسم التثنية والجمع ، فعرّف التثنية وبين كيفيتها ، وأوضح اختلافها عن الجمع . وتحدث عن الجمع بأنواعه السالم منه والمكسر ، وما كان منه للقليل وما كان منه للكثير . وأورد بعد ذلك مسائل فرضية ، وأصئلة نظرية كقوله : لم كان رفع الاثنين بالألف وهي المجانبة للفتح ولم يكن بالواو ، ولم لم تخص الألف برفع الجمع والواو بتثنية المرفوع ؟ ولم ضم النصب الى الخفض دون أن يضم الى الرفع أو دون أن تجعل له سمّة خاصة به ؟ ؟ وأجاب عن كل ذلك .

٢ — الفعل

تناول الزجاجي الحديث عن الفعل في أكثر أبواب الكتاب ، فتحدث عن : سبب تسمية الفعل ، وحده ، وما قيل في تقدمه على المصدر وتأخره عنه ، واستحقاقه للبناء ، ومرتبته ازاء الاسم والحرف ، ومراتب الأفعال فيما بينها ، وفعل الحال ، ونقل الفعل ، وامتناعه من الخفض ، وعدم الإضافة اليه . أما سبب تسمية الفعل فقد بين الزجاجي أنه ان كان كل من الاسم والفعل والحرف يستحق أن يسمى بـ « فعل » لأنه فعل المتكلم ، فان الفعل أحقها بهذه التسمية ، وذلك لأن الفعلية أصابته من جهتين ، فكان فعلاً للمتكلم به من جهة ، وفعلاً لفاعله من جهة ثانية . وأما حد الفعل فقال انه - على أوضاع النحو - مادل على حدث وزمان ماض أو مستقبل ، وفسر الحدث بالمصدر ، وشرط اقترانه بالزمان ليكون منعا الفعل ، فأما ان دل على الحدث وحده ، فهو المصدر ، وان دل على زمان فقط فهو الظرف . وذكر أن قوله هذا لا يمدو أن يكون تفسيراً لقول سبويه .

وأتى بجد آخر وضعه بعض النحويين للفعل ، فنقضه ثم تعرض لما يزعم الكوفيون أنه فعل دائم فقال انه محال .

وتحدث في باب آخر عن المسألة الخلافية المعروفة حول الفعل والمصدر وأبها مأخوذ من صاحبه . فأورد قول صيبويه ووضحه وألحق به قول الفراء والكوفيين ، ثم عاد فذكر أدلة البصريين وأثبتها ، ورد على أدلة الكوفيين وبين أنهم لم يكونوا فيها على صواب ، وختم الحديث بذكر محاوره جرت بينه وبين ابن الأنباري النحوي الكوفي أظهر لنا فيها عناد الكوفي واصراره على التمسك برأيه .

وأما استحقاق الفعل للبناء فقد ذكر في الحديث عن أقوال البصريين وعلى رأسهم صيبويه ، ثم عرض لأقوال الكوفيين الذين يرون أن أصل الإعراب للأسماء والأفعال جميعاً وأما البناء فللحرف فقط ، وأورد حججهم في ذلك وردها . وختم الباب بتصويب رأي البصريين .

وتناول الحديث عن مرتبة الفعل بالنسبة إلى الاسم والحرف فذكر اتفاق البصريين والكوفيين على أن الفعل يمد الاسم وقبل الحرف ، وناقش هذا القول وانتهى إلى اثباته وتأيبده . وأما تقدم الأفعال بعضها على بعض ، فجعل السبق فيه للمستقبل فالحال ثم الماضي .

وأفرد باباً للحديث عن فعل الحال ، بين فيه أنه ليس هو الفعل الذي يسميه الكوفيون بالفعل الدائم ، فهذا محال عنده ، ولكن فعل الحال هو الفعل المتكون بين الفعلين المستقبل والماضي ، وذلك أن المستقبل هو الفعل الذي لم يقع بعد وإن الماضي هو الفعل الذي مضى عليه زمانان اثنان : زمان وقوعه ، وزمان الإخبار عنه ، فأما الفعل الذي يتكون في حال خطاب المتكلم ، فلم يخرج إلى حيز الماضي ولا هو في حيز المنتظر ، فذلك هو فعل الحال . وهنا يذكر احتجاجاً يرد على البصريين في فعل الحال ، وهو أنه مادام فعلاً مستقلاً فلماذا

لم يكن له لفظ خاص يعرف به ؟ ويرد على ذلك بأن قوة الشبه بين المضارع والاسم هذه القوة التي منحت الفعل الإعراب هي أيضاً القوة التي جعلته بلفظ واحد ويقع لمعينين ، كما كان من الأسماء ما يقع لأكثر من معنيين .
وأما الماضي فليس له من شبه الاسم ما ينتجه شيئاً من قوته فبقي على حاله .
وتعرض في موضع آخر لعلته ثقل الفعل فذكر رأي بعض البصريين والكوفيين في ذلك . وكان آخر ما نتحدث عنه مما له صلة بالفعل ، امتناع الأفعال من الخفض ، وقد أفرد لذكر العلة في ذلك باباً خاصاً صدره بقول سيبويه ثم شرح هذا القول شرحاً مفصلاً ، تعرض فيه لذكر امتناع الأفعال من أن تضاف أو أن يضاف إليها ، وأورد في ذلك أسئلة كثيرة وشواهد متباينة ، ثم رد على الأسئلة وخرج الشواهد بما يلائم الأصل ، ولم يفته أن يلتفت إلى أسماء الزمان خاصة ، ليتحدث عن جواز إضافتها إلى الأفعال أو عدمه ، فقد خصها بحديث مطول أتى فيه على أقوال النحاة الذين يرون جواز هذه الإضافة وذكر شواهدهم ثم وقف من أقوالهم وشواهدهم موقف الناقد المفند يرد ويرفض ويؤول .

٣ - الحرف

سبب تسمية الحرف ، وأضرابه ، وحد كل منها . واصتحقاقه للبناء ومرتبته بالنسبة إلى الاسم والفعل ، هو ما نتحدث عنه الزجاجي في كتابه ، مما له صلة بالحرف فكان نصيب الحرف في الكتاب دون نصيب كل من قسميه الاسم والفعل .

يرى الزجاجي أن الحرف حد بين الاسم والفعل ، ورباط بينهما ، لذلك سمى حرفاً . وحرف الشيء حده ، ويقسم الحروف ثلاثة أقسام هي حروف المعجم التي تتألف منها الكلمات . وحروف هي الكلمات نفسها . وحروف المعاني .

ويعرف كلاً منها فيقول ان حروف المعجم هي الأصوات التي لا تدل على معنى من معاني الأسماء والأفعال ، ولكنها أصل تركيبها . والحروف السكيات هي أبعاض الكلم ، وأما حروف المعاني فهي التي بمعنى بها النحويون والتي جاءت لتدل على معان في غيرها . ويختص الزجاجة حديثه عن الحد باصتمراض نماذج قليلة من حدود النحويين والتعليق عليها بما يدل على عدم اقتناعه بها إذ يقول « وهذا وصف للحرف صحيح ، وليس بجهد له » . وأما استحقاق الحرف للبناء فيوضح الزجاجة رأي سيبويه فيه ، ويورد حجج البصريين في تأييده ، وإثبات أن الحرف كالفعل مستحق للبناء وهي حجج مستندة الى كون الفعل مستحقاً للبناء كقولهم « وإذا كانت الأفعال غير مستحقة للأعراب لأنها عوامل فعروف المعاني من الأعراب أبعد » .

ولم يذكر للكوفيين في الموضوع أكثر من موافقتهم على الأصل القائل بأن الحرف حقه البناء .

وآخر ما تعرض له الزجاجة من مسائل الحرف مرتبته في السبق والتقدم بالنسبة الى الاسم والفعل . وهي المسألة النظرية التي عالج فيها ترتيب الأسماء والأفعال والحروف وتصنيفها وفق الأسبقية والتقدم . وقد جعل مرتبة الحرف أخيرة بعد الاسم والفعل ولكنه يادر الى الاحتجاج بأنه مادام الحرف عاملاً في الاسم والفعل ، وما دام العامل قبل المفعول فكيف يكون الحرف بعدهما ؟ وأنه الحديث برد هذه الحجة وإبطالها ، بل اتهامها بأنها مقالطة . وأنها لا تنقاس على العلة ومعلولها ، ولجأ الى الواقع فضرب منه مثلاً بسيطاً فقال اذا كان النجار قبل الباب الذي نجره فإن هذا لا يعني أنه قبل الخشب الذي صنع منه الباب ، وكذلك الحروف التي هي - وإن لم تكن أجساماً - سابقة لمعلولها فقط ، وليس سابقة لما عملت فيه ، ان الحروف قبل الرفع والنصب والخفض والجزم ،

هذه التي هي كها من آثارها ، ولكنها ليست قبل المرفوع والمنصوب
والمنفوض والمجزوم .

٤ — المسائل العامة

من المسائل العامة التي تعرض لها كتاب إيضاح علل النحو المسائل الآتية :
اختلاف الحدود وعلته ، وعلل النحو ، والإعراب ولماذا دخل الكلام ؟
وهل هو حركة أم حرف ؟ وما معنى الرفع والنصب والجر ، والسبب في تسمية
النحو ، وفائدة تعلمه . والفرق بين النحو والإعراب واللغة والقريب . وعلل
دخول التنوين في الكلام .

إلى جانب مسائل نظرية قائمة على الفروض كالفعل والمصدر وأبها مأخوذ
من صاحبه . وكالإعراب والكلام وأبها أسبق وغير ذلك مما أشرت إليه في
أقسام الاسم والفعل والحرف كالتفاوت بينها في المرتبة والتقدم ، وتفاوت الأفعال
فيما بينها في التقدم ، وعلل امتناع الأسماء من الجزم وامتناع الأفعال من
الخفض ولم كان رفع الاثنين بالالف ولم يكن بالواو . . . ؟

اختلاف الحدود :

يوضح الزجاجي لماذا تختلف الحدود بعضها عن بعض ، مع أن الحد هو
مادل على طبيعة الشيء الموضوع له ، فيقول ان هذا الاختلاف فيما بينها
ليس اختلاف تضاد وتنافر وان وقع شيء من هذا كان خطأ في الحد وفساداً
في المحدود ، وإنما هو اختلاف في اللفظ . ثم يبين أن الاختلاف في الحدود
قائم حتى بين الفلاسفة أنفسهم وهم أعرف الناس بالحدود ويضرب أمثلة كثيرة
عن اختلافهم في حد الفلسفة ذاكراً أن هذا ليس من النحو في شيء ولكنه
مادام يبحث بمقابلة أصحاب الحدود فلا بد من مجاراتهم . وثمة شيء آخر يمزو

اليه الزجاجي اختلافهم في الحدود وهو أن لكل منهم غرضاً يقصد اليه في حده ، فمنهم من أراد التقريب والافهام ، ومنهم من أراد الشمول والخصر ، ومنهم من أراد الحد على الحقيقة ، واختلاف الأغراض أدى بهم الى اختلاف الحدود .

علل النحو :

أول ما يشير اليه الزجاجي في باب علل النحو هو أن هذه العلل ليست كالعلة الفلسفية من حيث كونها موجبة للمعلول ، وإنما هي وجدت وجد بالضرورة ، وإنما هي علة مستنبطة من المعلول بعد وجوده .

ثم ينتقل الى ذكر أقسامها فيجملها ثلاثة : تعليمية ، وقياسية ، وجدلية نظرية . فالعلل التعليمية هي التي توصل الى تعلم كلام العرب . كأن تقول : العلة في نصب « زيداً » من قولنا « ان زيداً قائم » هي مجيء « ان » قبله .

والعلل القياسية كأن تسأل عن العلة في نصب « ان » لزيد في قولنا « ان زيداً قائم » فنقول ولم يجب أن تنصب ان الاسم ؟ وبكون جوابنا هو العلة القياسية القائلة ان « ان » وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي الى مفعول فحملت عليه وأعمت أعماله ، فالمنصوب بها مشبه بالمفعول به لفظاً . والمرفوع بها مشبه بالفاعل لفظاً . وهي تضارع الفعل الذي قدم مفعوله على فاعله نحو ضرب أخاك محمد . وأما العلة الجدلية النظرية فكل ما يمثل به في باب « ان » بعد هذا الذي سبق ، كأن يقال : فمن أي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال ؟ وبأي الأفعال شبهتموها ؟ ولم لم تشبهوها بما جاء على الأصل من تقديم الفاعل على المفعول ؟ فكل علة يمثل بها المسؤول في الإجابة عن شيء من هذه الأسئلة فهي علة داخلية في باب النظر والجدل .

وبعد أن ينهي الزجاجي حديثه عن أقسام العلة يورد خبراً عن الخليل بن أحمد وأثره في علل النحو . فيقول ان الخليل مثل عن الملال التي يمثل بها أكانت

من اختراعه وابتكاره أم أنه أخذها عن العرب . فكان جوابه طريفاً يدل على أنه كان يخترع الملل ويأتي منها بما كان يعتقد أن العرب لاحظته وان لم تصرح بأنه العلة ، وكان آخر جوابه قوله « فان صنع لغيري علة لما علمته من النحو ، هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليات بها » وعلق الزجاجي على ذلك بقوله « وهذا كلام مستقيم ، وانصاف من الخليل رحمة الله عليه » . وينهي حديثه عن الملل بقوله ان عال النحو كافة فائمة على هذه الأقسام الثلاثة التي ذكرها .

الإعراب :

بمعالج الزجاجي في كتاب الايضاح عدة مسائل تتعلق بالإعراب ، وسنعرض هذه المسائل عرضاً مريباً وبالترتيب التي أوردتها به .

الإعراب والكلام أيهما أسبق :

يحكم الزجاجي بسبق الكلام الإعراب ، فالاسم أو الفعل موجود ذو دلالة معينة ولا تزول دلالته سواء أكان معرباً أو غير معرب . والإعراب طارئ على الكلام لمعنى بعينه . ولكن هل يعني ذلك أن الكلام نطق به زماناً غير معرب ثم أعرب ؟ الزجاجي يرفض ذلك ويقول ان العرب نطقت بالكلام معرباً لأول وهلة . فان قيل وكيف حكمت بسبق أحدهما ماداما وجدنا معاً ؟ فيقول ان الأشياء ، وان لم تكن توجد الا مجتمعة ، لتستحق التقديم والتأخير . ويمثل لذلك بقوله ان السواد عرض في الأسود ، والجسم أقدم من العرض بالطبع ، والمرض قد ينفصل عن الجسم ، فنقول ان الأسود قبل السواد مع أننا لم نر الجسم الأسود منفصلاً عن سواده ، ولا رأينا السواد قط عازباً عن الجسم ومثل ذلك قولنا ان الأسماء قبل الأفعال مع أنها وجدت معاً في النطق .

وعلى كل فقد أجاز بعض العلماء أن تكون العرب نظقت أولاً بالكلام غير معرب ، ثم رأت اشتباه المعاني فأعربتة .

الإعراب وعلة دخوله في الكلام :

لو اختلف الإعراب لالتبست المعاني وتشاكت الألفاظ إذ الإعراب علم المعنى في اللفظ وبه نبتدي الى معنى الفاعلية أو المفعولية أو الإضافة . . . هذا . . . ووجز رأي النحويين في علة دخول الإعراب في الكلام عرضه الزجاجي مع التفصيل التمثيل .

ويستثنى قطرب من النحويين لأنه لا يرى رأيهم . بل يرى أن اتفاق الإعراب في زبد من قولنا « ان زبدًا أخوك » . ولعل زبدًا أخوك . وليت زبدًا أخوك » لم يدل على اتفاق المعنى . وان اختلف الإعراب في قولنا « ما زيد قائمًا ، وما زيد قائم » لم يدل على اختلاف المعنى . ان قطرباً يرفض رأي النحويين ويقول ان العرب لجأت الى الإعراب للتخلص من التقاء الحروف الساكنة ، وليعتدل الكلام ما بين حركة وسكون .

ويرد الزجاجي قول قطرب بما رد به النحويون من أنه لو صح زعم قطرب لكانت الحركة الواحدة مجزئة للتخلص من التقاء السواكن . ولكننا رأينا كثيراً من جر الفاعل ونسبه ورفع المفعول وجره . . . ولما كنا رأينا الاعراب يسير في كلامهم على هذا النسق من الترتيب والاطراد .

الإعراب أحركة هو أم حرف ؟

مذهب البصريين أن الإعراب حركة وليس حرفاً ، إذ لو كان حرفاً لما دخل على حرف . وأما الكوفيون فيرون أن الإعراب يكون حركة فيدخل على حرف ، ويكون حرفاً فيقوم بنفسه . وقد يكون الإعراب بعد ذلك

صكوناً (كما في المضارع الصحيح) أو حذفاً (كما في المضارع المعتل) .
 وبنيه الزجاجي على أن الإعراب قد يكون حرفاً - عند سيبويه - في موضع
 واحد ولعله تسوق إليه ، وهذا غير نائض للأصل . أما هذا الموضع فهو
 الأفعال الخمسة التي ترفع بثبات النون ، وتنصب وتجزم بحذفها . وعلة ذلك
 أنه لو جعلت النون حرفاً ثابتاً دوماً ودخلته حركات الإعراب ، لوجب إذا
 وقع عليه السكون أن تحذف الألف أو الواو أو الياء من قبله ، فتلتبس المعاني
 لضياح الضمائر الساقطة ، لذلك جعلت النون علم الرفع ، فوجب حذفها عند
 الجزم ، لأن الجزم يسكن المتحرك ويحذف الساكن .
 وأما النصب فقد ضم في هذا الباب إلى الجزم ، كما ضم في تثنية الاسم وجمعه
 إلى الجر ، لأن الجزم في الأفعال نظير الخفض في الأسماء .
 ويرد الزجاجي بعد ذلك بما يحنج به أو يسأل عنه كقولهم لماذا لم تكن
 الألف والواو والياء في الأفعال الخمسة هي حروف الإعراب ؟ وكيف جاز
 أن يجيء الفاعل في مثل « بفعلان وتفعلولت » قبل حركة الإعراب ؟

الإعراب ولم وقع في آخر الاسم دون أوله ووسطه ؟

سبق أن أشرنا إلى هذه المسألة في قسم الاسم^(١) فلا لزوم لإعادتها هنا .

معنى الرفع والنصب والجر :

يشرح الزجاجي معنى هذه العلامات الأربعة التي هي الرفع والنصب والخفض
 والجزم عن طريق اللفظ فيقول إنما سمي الرفع رفعاً لأن المتكلم به يرفع حنكه
 إلى الأعلى حين النطق به ، وسمي الفتح فتحاً لأن المتكلم يفتح فاه ، ويباعد بين
 حنكه حين النطق به ، وأما الجر فسمي بذلك لأنه يمر ما قبله ليوصله إلى

(١) انظر ص ٦٢ من هذا البحث .

ما بعده نحو صررت يزيد فالباء أوصلت مرورك الى زيد ، ومثله المال لعبد الله ، وهذا غلام زيد . ولا ينسى الزجاجي أن جماعة من الكوفيين يسمحون الجر خفضاً فيخرج معناه بذلك عما علله به من أمر الجر فيقول ان هؤلاء قد لاحظوا انخفاض الحنك الى الأسفل وميله الى احدى الجهتين (عند النطق بحركة الخفض) .

وأما الجزم فمعناه القطع ، وكأنه سمي بذلك لقطعه الإعراب عن الكلمة ، هذا هو الأصل فيه . ثم أطلق على حذف الحرف أيضاً لأنه يشبه حذف الحركة ، إذ كلاهما حذف . ويورد الزجاجي بمد ذلك كلاماً ينسبونه الى المازني . فيشرحه ثم يرده ويثبت شكه في نسبه اليه .

العلة في تسمية النحو :

يروى الزجاجي تحت هذا العنوان ما شاع من خبر أبي الأسود الدؤلي ، وما قيل حول وضعه للنحو ، وسبقه الى ذلك ، وأنه قال : انخوا هذا النحو أي اقصده ، وان النحو - على ذلك - هو القصد ، ثم غلب هذا الاسم على علم العربية حتى عرف به .

فائدة تعلم النحو :

يرى الزجاجي للنحو فوائد كثيرة ، منها أنه يوصل الى التكلم بكلام العرب غير مبذل ولا مفير ، ومنها تقويم كتاب الله وفهم الحديث النبوي . . . ويورد بمد ذلك ما أثر من أقوال تحت على تعلم العربية وتبين فضلها ، فيروي عن ابن عباس وأبي بكر وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب . ثم يقول ان الشعر - وهو ديوان العرب - لا يمكن اقامته ولا فهمه إلا بمعرفة النحو . ويختم حديثه بالرد على من احتج لعدم ضرورة النحو بفهم الكلام العامي غير

المعرب فيقول انما يكون ذلك في المتعارف المشهور ولو التبس على المرء معنى من المماني وأراد ايضاحه لم يمكنه ذلك بغير معرفة الإعراب .

الفرق بين النحو والإعراب واللغة والغريب :

أما النحو فقد تحدث عنه في باب «علة تسمية النحو» ويزيد هنا أنهم قد يطلقون على النحو اسم الإعراب كما يطلقون على الإعراب اسم النحو سماعاً لأن المقصود منها علم واحد . وأما الإعراب فهو البيان ، ولما كانت الحركات تبين عن المماني فقد سميت به . وأما اللفظة أو اللسان فهي ما يتكلم به القوم . وما قل سماعه منها ولم يعبر في غير أفواه الخاصة فهو الغريب .

التنوين وعلة دخوله في الكلام :

يدخل التنوين في الكلام لثمان ثلاثة :

١- أن يكون للفرق بين الخفيف من الأسماء وغير الخفيف ، فالتنوين ثقیل لا يدخل على ثقیل . وجمله صيبويه فارقاً بين المتصرف الخفيف من الأسماء وغير المتصرف . وجمله الكوفيون فارقاً بين المفرد والمضاف .

٢- أن يكون عوضاً عن محذوف من الكلمة ، فقولك «جوار» مثلاً أصلها جوارري فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت فنقص بناء الكلمة فعوضت التنوين ، وكذلك في حال الجر . وأما في النصب فنبتقيه على حاله خلفه الفتح .

٣- أن يكون فرقاً بين المنكر والمعرف من الأسماء المنتهية بالزوائد نحو: عمروية وصيبويه ، لأنهم أجروا هذه الألفاظ مجرى الأصوات فنحوها الإعراب ونحوها على الكسر . فإذا أرادوا تكبيرها نونوها كما فعلوا في حكاية الأصوات .

عرض تاريخي :

كانت نظرتنا الى كتاب الايضاح فيما سبق نظرة عامة . استعرضنا من خلالها المواد التي احتوى عليها أو تألف منها . ومن حق الزجاجي علينا بل من حق الكتاب نفسه أن ننظر اليه نظرة خاصة ، لا تنجيه بها الى المادة العلمية المعروضة فيه ، وانما نوجهها الى تطور هذه المادة أو تاريخها . ومن الفين للزجاجي أن ننظر اليه من خلال كتابه على أنه نحوي فقط ، وهو الذي كان فيه نحويًا يبحث مسائل النحو ومشاكله كما يبحثها غيره ، وكان - الى حد ما - مؤرخًا يستعرض الآراء النحوية استعراضًا تاريخيًا . فبدأ منها منذ نشأتها الاولى ثم يحاول تتبع سيرها على ألسن النحويين ، فيطلعنا بذلك على جانب من جوانب تطورها أو تاريخها النحوي .

على أنا لا نفي أن كتاب « الايضاح في علل النحو » كتاب في تاريخ النحو ، إذ لم يكن التاريخ للنحو غاية سمى اليها صاحبه ، إلا أن أسلوب الزجاجي في عرض المسائل النحوية أسلوب راعي فيه التطور الزمني . وكان فيه علمًا أمينًا ومتنبهًا بصيرًا . ولم يكن مجرد راوية ينقل ، وانما كان ناقلًا نافذًا يستعرض ويختار ، ويختصر ويوجز .

فمن خصائص هذا الأسلوب التاريخي أنه عني بالكشف عن مصدر الفكرة الأول ، وتنبيهنا لمعرفة ما آت اليه ، ثم محاولة الربط بين حاضر الفكرة وماضيها . فأما الكشف عن مصدر الفكرة ، ومحاولة عندها الى صاحبها ، فيظهر عند الزجاجي في مثل قوله في حديثه عن أقسام الكلام « وأول من سطر القول بذلك سيبريه » فدل على أن سيبريه هو أول من سجل تقسيم الكلام الى اسم وفعل وحرف . على أنه لم يقل عن ذكر ماروي من أن علي بن أبي طالب

هو أول من قال بذلك . ولكنه ينقل هذا الخبر على أنه رواية رويت وليس لديه ما يؤيدها أو ينقضها .

وأما تنبئه للفكرة واستعراضه لما دار حولها من أقوال ، ورجعه كل قول إلى صاحبه فيظهر مثلاً حين تحدث عن الاسم وحده فذكر موقف سيبويه (١٨٠ هـ) منه ورأي أصحابه - ثم ذكر رأي الأُخفش الأوسط (٢١٠ هـ) ورد عليه - ثم رأي ابن السراج (٣١٦ هـ) وعاد أخيراً إلى المبرد (٢٨٥ هـ) فوقف عند رأيه بفصل وبنقاش .

وبمثل هذا التبع تحدث عن امتناع الفعل من الخفض ، فبدأ برأي سيبويه وشرحه وأورد ما قيل فيه ، ثم انتقل إلى رأي الأُخفش الأوسط فشرحه ، وبين الصلة بينه وبين قول سيبويه ، بل بين كيف يعود قول الأُخفش إلى المصدر الأول الذي هو قول سيبويه وخلص من ذلك إلى الحكم بأن كل كلام قيل في علة امتناع الفعل من الخفض فهو مشتق من قول سيبويه وراجع إليه . وشبهه بذلك موقفه من رأي الفراء في علة دخول التنوين في الكلام ، إذ أتى على ذكره وبين أنه مأخوذ من قول سيبويه .

وتتبع القول في علة ثقل الفعل وخفة الاسم فذكر أقوال البصريين ، ثم انتقل إلى الكوفيين فعدد منهم الكسائي (١٨٩ هـ) فالفراء (٢٠٧ هـ) فإمام ابن معاوية (٢٠٩ هـ) فثعلبياً (٢٩١) .

وقد لا يكون بين النحويين خلاف في المسألة التي يبحثها ، فلا يكون هناك ضرورة لهذا العرض ، بل يكفي أن يشير إلى إجماعهم على الأمر كأن يقول في الحديث عن العلة في تنكير الأفعال « وهو جواب الجماعة لا يفرد به قوم دون قوم » أو أن يقول « الدليل على ذلك اجتماع النحويين

كلهم من البصريين والكوفيين على أن الأفعال نكرات» فإذا انعدم الاجماع كان ذكر القول الأشيع هو المقدم عنده ، ثم يتلوه قول المخالفين أو ما كان وجهياً وجديراً منه بالذكر كما هو الأمر في باب علة دخول الإعراب في الكلام إذ ذكر قول النحويين ثم قال « هذا قول جميع النحويين إلا قطرباً » واستمر يشرح رأي قطرب وبنائشه ويرد عليه . وكذلك فعل في باب علة دخول الإعراب في آخر الاسم دون أوله ووسطه إذ أفرد رأي كل من ابن الخياط والمبرد بالحديث لأنها خالفا في ذلك وكانا على غير ما أجمع عليه النحاة .

وزي الزجاجي أحياناً يصنف النحويين وفق آرائهم كما فعل حين تحدث عن الألف والواو والياء في التثنية والجمع فقال : « اعلم أن للعلماء في ذلك ثلاثة أقوال ، قال الكوفيون كلهم . . . هي الإعراب نفسه . وقال المازني والمبرد والأخفش سميد بن مسعدة هذه الحروف دليل الإعراب وليست بإعراب ولا حروف إعراب . وقال الخليل وسيبويه ومن تابعها هذه الحروف هي حروف الإعراب .

ثم شرح كل قول من هذه الأقوال وناقشه . ولا شك أن تقسيم العلماء وفق آرائهم . وذكر هذه الآراء وشرحها يساعد على معرفته الآثار المتبادلة فيما بين العلماء كما يساعد على معرفة الرأي القوي الذي كان له النفاذ والشيوع وكانت له الغلبة والحياة .

ويراعي الزجاجي هذا التسلسل الزمني حتى في ترتيبه للشواهد حين يحتاج إليها ولا يكتفي به في عرض آراء النحاة ، فقد أراد في بعض أبواب الكتاب أن يبين قيمة العربية فبدأ بالاستشهاد بالقرآن ثم بالحديث ثم بأقوال نسبت إلى ابن عباس وأبي بكر وعمر وعلي .

والخلاصة ان أبا القاسم الزجاجي كان يتتبع المسألة النحوية التي يبحثها محاولاً أن يكشف عن مصدرها ، فيثبت نسبتها إليه ، ثم يسير معها عبر الزمن ليظهرها في ثوب جديد من التعبير على ألسن أخرى تناولتها . بل لقد تعرض لتأريخ الحركة النحوية بصورة عامة فذكر ما شاع من خبر أبي الأسود الدؤلي الذي قيل أنه أول من بدأ العمل النحوي في عهد زياد ، وأنه أخذ ذلك عن علي بن أبي طالب .

مازده المبارك

(يتبع)

www.alukah.net

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا. ل. كيرفيل

نقله الى العربية الاساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

- 5 -

رقم المصطلح	رقم المصطلح
2164 Carie dentaire	٢١٦٤ نَحْرُ الأَسنان
وقد درجت في كتيبي على استعمال الساس ترجمة لهذا المصطلح . ففي اللسان الساس غير مهحوز ولا ثقيل القادح ^(١) في السن . وطبيعي أن ترجح كلمة واحدة في ترجمة هذا المصطلح على كباين .	
2165 Carié, e	٢١٦٥ نَحْرٌ ، مُسَوِّسٌ
نَحْرٌ أو مَسَوِّسٌ ومَسَوِّسَةٌ ومُسَبِّسٌ .	

(١) في اللسان : والقَدْحُ والقادِحُ أكل يقع في الشجرِ والأسنان . والقادِحُ
المَتَنُّ وكلاهما صفة غالبية . والقادِحَةُ الدودة التي تأكل السن والشجرِ بقول
قد أبرعت في اسنانه القوادحُ الى أن قال وقد قَدِحَ في السن والشجرة ،
وقَدِحنا قَدْحاً ، وقَدِحَ الدودُ في الأسنان والشجرِ قَدْحاً وهو تأكل يقع
فيه . والقادِحُ الصَّدعُ في النودِ والسوادِ الذي يظهر في الأسنان .

- ٧٩ -

- 2210 Casque neurasthénique خوذَة أَخْوَر ٢٢١٠
 وأرجح قَلَسُوَة الوَهْن العصبي .
- 2243 Catatonie خَلَاع ٢٢٤٣
 وأقر بجمع اللفظة 'خباط متقلب' ، ودرج كاتب هذه السطور على ترجمة اللفظة بالجمود . فقد جاء تعريفها في معجم بلاكستون (Blakiston's) : طور من ارتكاس الفطام (Schizophrenic reaction) أو نوع منه ، يبدو المصاب به فاقداً ارادة الكلام أو الحركة ملتزماً وضعة واحدة ، ومحافظاً على الوضعة التي يجعل فيها مع عمانية لأي حركة ارادية أو للكلام .
 أما الخُلاع فقد جاء في اللسان : والخُلاع والخَيْتَع والخَوَلَع كالحَبَل والجنون يصيب الإنسان ، وقيل هو فَرْع يبقى في الفؤاد يكاد يفتري منه الوَسْواس وقيل الضَّعْف والْفَرْع .
 لذا أرجح الجمود والكاتاتونية معربة .
- 2217 Cathode incandescente مَخْرَج مَتَوَهِّج ٢٢٤٧
 وأفضل مَنقَد سَلْبِي مَتَوَهِّج إذا لم يفضل كاتود متوهج (معرباً) .
- 2248 Cation شاردة سَلْبِيَة (شاربية) ٢٢٤٨
 وأرجح كاتيون معربة .
- 2255 Causalgie, syndrome 'حراق' ، تَنادِرُ 'حراقي' ٢٢٥٥
 عَصَاب حَروري
 causalgique, thermalgie
 وأقر بجمع اللفظة 'حرقنة في الجلد' . ودرج كاتب السطور على استعمال الألم المحرق ترجمة لـ (Causalgie) فأقول الألم المحرق ، تنادير الألم المحرق والألم الحروري .

أما 'حراق' فله دلالة اللغوية الخاصة ، فقد جاء في اللسان : والحراق ما انتفت به النار من خرقه أو نسيج ، قال والنسيج أصول البردي إذا جف ، الحراق والحرق ما تقع فيه النار عند القدح والعامه تقوله بالتشديد .

2326 (5) Neurone (5) جامعة عصبية

وأقر مجمع اللغة عَصَبَة . ودرجت على استعمال الوحدة العصبية .

2460 Chapelet rachitique مِسْبَعَة خَرَعِيَة

وأرجح مِسْبَعَة رَخِيْطِيَة (١) .

2517 Chimiotaxie, Chimiotro- انجذاب كيميائي ، انجياز
-pisme, Chimiotactisme كيميائي

وأرجح أن تكون ترجمة هذه المصطلحات الثلاثة تياً : الانتظام الكيميائي (لأن منه ما يكون ايجابياً فيدل على الانجذاب ، كما ان منه ما يكون سلبياً فخري به أن يدعى نفوراً) ، انجذاب كيميائي والنظامية الكيميائية .

2544 Chlorose, anémie essentielle خَضْر ، فاقه دم
Chlorose, d'Egypte, chlorose شديدة
tropicale

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة الأولى بكوروز ، ودرجت على ترجمتها بدهاء الاخضرار والتعريب أفضل . أما بقية الألفاظ فتكون ترجمتها : فاقه الدم الأصامية (لا الشديدة) كلوروز مصر ، كلوروز المناطق الحارة . ولفظة خَضْر معناه اللغوي الخاص (٢) .

(١) ينظر في الصفحة ٩٩ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه أنجته .
(٢) في التاج : والخضّر بالتحريك النعومة مصدر خَضِر الزرع إذا نم الى ان قال والخضّر صَمَف النخل وجريده الأخضر .
م (٦)

- 2545 Chlorotique خضور ، متعلق بالخضّر ٢٥٤٥
وأرجح أن يقال كلوروزي استناداً الى ما تقدم .
- 2553 Choc allergique صدمة تحسّسية ٢٥٥٣
وأفضل صدمة آليرجائية^(١) .
- 2554 Choc anaphylactique صدمة تأقية ٢٥٥٤
وأفضل صدمة الاستهداف^(٢) أو اللاوقاية (المجمع) .
- 2558 Choc hémoclasique, صدمة تزعزع الدم صدمة ٢٥٥٨
colloïdo - clasique تزعزع الشفريات
أقول صدمة تزعزع الدم ، صدمة تزعزع الغرويات .
- 2559 Choc hypoglycémique, صدمة نقص التّعلّون ٢٥٥٩
Choc insulinique الدموي صدمة انسولينية
ودرجت على استعمال صدمة نقص سكر الدم والصدمة الأنسولينية .
- 2581 Cholestéatome ورم شمعي ، ورم لؤلؤي ٢٥٨١
وأقر مجمع اللغة ورم لؤلؤي ورم شمعي كولسترولي .
- 2583 Cholestérine, cholestérol غول المرّة (كولسترول) ٢٥٨٣
وأقر مجمع اللغة كولسترول وهي الكلمة الدارجة حتى على السنّ العامة
وكذلك كولسترين .
- 2598 Chondrodystrophie كُساحة الوئدان ، حثّل الغضاريف ٢٥٩٠

(١) انظر الصفحة ٣١٨ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٤٦٥ من الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

وأقر بجمع اللفظة السَّغَلُ الفُضْرُوفِي ، وهو الأفضل لأن السَّغَلُ ^(١) البادي مرده الى سوء تكون الضاريف ، وكلمة حَثَلُ (لا حَثَلُ) لا تفيد المعنى المطلوب ونسبتها الى الضاريف يفهم منه اضطراب الضاريف بحذ ذاته ، وكلمة كُساحة لا أراها تفيد المعنى المطلوب .

وعليه فالأفضل أن تترجم اللفظة بالسَّغَلُ الفُضْرُوفِي .

٢٥٩٣ رَقَص ، رَقَصَ سِنْغِي ، Chorée, danse de saint 2593
رَقَصَ سِيدِنْهَامِ الرَّثُوي - Guy. Chorée rhumatis-
- male de Sydenham

وأقر بجمع اللفظة تعريب اللفظة بكورية ، والشائع هو داء الرقص ، فتكون الترجمة : كورية أو داء الرقص ، رَقَصَ (ترجمة Danse) سِنْغِي ، كورية سيدنهام الرثوية .

٢٦١٥ مَقْيَاسُ تَعْيِينِ اللَّوْنِ Chromomètre 2615
وأرجح مقياس اللون .
٢٦١٦ كُرُّهُ الْأَلْوَانِ Chromatophobie 2616

(١) ان مدلول لفظة (Chondrodystrophie) هو سوء التشكل الخَلْفِي في العظام من منشأ فُضْرُوفِي . وفي اللسان : والكُسَاحُ الزَّمَانَةُ في اليدين والرجلين وأكثر ما يستعمل في الرجلين ، الكَسَاحُ نَفَلٌ في إحدى الرجلين إذا متى جرّها جرّاً ، الأكَسَحُ الأهرج والمُقَمَدُ ايضاً . وجاء ايضاً والكَسَاحُ داء يأخذ في الأوراك فتضف له الرجل وقد كسح الرجل كَسَحاً إذا نزلت إحدى رجله في المشي ، فاذا متى كأنه يكسح الأرض أي يَكُتْسُهَا .

وفي اللسان : الحَثَلُ سُوءُ الرُّضَاعِ والحَالُ ، وقد أحثته أمه والمُحَثَلُ السِيءُ الفِئْدَاءُ والحَثَلُ للضايي الدقيق كالمُحَثَلِ .

والسَّغَلُ : الدقيق القوام الصغير الجثة الضيف والامم السَّغَلُ ، والسَّغَلُ والنَوَّغَلُ السِيءُ الفِئْدَاءُ المضطرب الأعضاء السِيءُ الخَلْقِي يقال سبى سبيل بين السَّغَلِ .

وأرجح النفور من الصباغ وبهني بيذه اللفظة حال بعض الخلايا التي لا تصطبغ بالمونات ، ودعاها المجمع خلايا اللامستلونة .

2619 Chromatopsie رُوْبَة الأَشْيَاء مَلْوَنَة

• وأرجح اصطبغ الرُوْبَة ^(١) .

2620 Chromosome جسم مَلْوَن (في نَوَاة الخلية)

وأقر بجمع اللفظة الصبغية (ج الصبغيات) وأرجح تعريب هذه اللفظة بكروموزوما بعد كل من الجسم الملون (في نواة الخلية) والصبغية عن الدلالة ^(٢) .

2621 Chronaxie زَمَنَة وحدة زَمَنِيَة

• وأفضل تعريبها بكروناكسيا ^(٣) أيضاً .

2688 Circulation coronaire دَوْرَان الكليبي

كذا وردت الترجمة في جدول تصويب الأخطاء الواردة في المعجم ، وكانت في المتن دَوْرَان تاجي فمدت عنه ، وأراه أصح . فالمتفق عليه اطلاق (Couronne) على التاج والإكليل معاً إلا أن التاج أخص لاسيما وان

(١) لقد ذكرت لجنة بجمع اللفظة في ترجمة (Chromatopsia) عمى الألوان ولا أظنه إلا خطأ مطبعياً لأن عمى الألوان ترجمة لـ (Achromatopsia) .

(٢) ويعني بها اجزاء متناهية في الصغر بشكل (٧) تظهر في نواة الخلية التي هي في طور الانقسام ، وتنشأ من تجزؤ شبكة الكروماتين (Chromatine) ، وعدد هذه الأجزاء ثابت لكل نوع من انواع الحيوانات .

(٣) يفهم من وحدة زمنية احد اجزاء الدقيقة والثانية ، والزمنة كما جاء في اللسان الزمان . واللفظة الفرنجية لا تدل على هذا ولا ذاك فهي ذات دلالة خاصة لا تشاطرها فيها أي كلمة . فقد عرفت الكروناكسيا بالمدة التي تنقضي لمرور التيار الكهربائي حتى إحداث ادنى تقلص في العضة وذلك بشدة تبلغ ضعف أخف التيارات التي تغير التقلص المذكور (Rheobase) .

التتويج يأتي ترجمة لـ (Couronnement) في الفرنسية و (Coronation) في الانكليزية . وقد أفر جمع اللغة ترجمة (Coronary) بناجي .

2705 Cirrhose إشقرار ٢٧٠٥

وأفر جمع اللغة كلمة تليف في ترجمة اللفظة ، وهي تطلق على حالة مرضية تعرض للكبد تمتاز بالتكثير المفرط لتسيجها الضام ، وقد درجنا ومن تقدمنا على اطلاق التشمع عليها وأصبحت الكلمة من الخطأ المشهور ، وكلمة الاشقرار تشير الى مدلول اللفظة اللغوي بأن تصبح الكبد بلون أشقر . وكلمة التليف دلالتها أغم لأن لون الكبد لا يكون أشقر دائماً في الأشكال المختلفة من العلة المذكورة .

2748 Climatérique, Critique دَوْرَة كاملة ، بُجْراني ، نقد

إن اللفظة الفرنجية كما جاء في معجم بلاكستون (Blakiston's) من اليونانية وترجمتها الحرفية (درّجة السّم) ومعناها كما يقول صاحب المعجم المذكور طور الحياة الذي يطرأ فيه على البدن تغيّر بين ، وقد ظن أن هذه الأطوار تتكرر كل سبع سنوات إلا أن هذه الكلمة تستعمل من أجل من الأياس (Menopause) .

وعليه فترجمة اللفظة أيامي (دَوْرِي أو نَوْبِي) .

2719 Climatotherapie معالجة بالأقليم ٢٧٤٩

وأرجح المعالجة المناخية ، وأفر جمع اللغة العلاج المناخي .

2754 Clinomanie ضجّمة ٢٧٥٤

وأرجح وَاَع الاستلقاء . فقد عرفت اللفظة الفرنجية بالميل المفرط للملازمة السرير أو الاستلقاء والمشاهد في بعض المصابين بالوهن العصبي وبالوهن العصبي التناسلي خاصة . أما الضجّمة فقد جاء في اللسان : الضجّمة والضجّمي الذي

يلزم البيت ولا يكاد يبرح منزله ولا ينبهض لمكرمة . واضطجعَ نام وقيل استلقى ووضع جنبه بالأرض وأضجعت فلاناً إذا وضعت جنبه بالأرض . الاستلقاء على القفا وكل شيء كان فيه كالانبطاح ففيه استلقاء ، واستلقى على قفاه .

2757 Clinostatique ملازم فراشه ٢٧٥٦

والأفضل أن يقال استلقائي ومنه الليلة الآحينية الاستلقائية (Albuminurie clinostatique) المشاهدة في بعض الحوامل ، على عكس الليلة الآحينية الانتصابية (Alb. orthostatique) التي تبدو في بعض الأعداء حين الانتصاب أو الوقوف .

2757 Clinostatisme لزوم الفراش ٢٧٥٧
وأرجح الاستلقاء .

2769 Clonique اختلاجي ٢٧٦٩

2770 Clonus de la main اختلاج اليد ٢٧٧٠

وأقر جمع اللفظ الرجفات في ترجمة (Clonus) ودرجت على استعمال الارتجاج مخصصاً للاختلاج للفظ (Convulsion) وقد استعملت اللجنة الكلمة ذاتها في المصطلح ذي الرقم ٣٣٠٥ بقولها اختلاج ارتجاجي لترجمة (Convulsion clonique) .

وعليه فأرجح ارتجاجي للفظ الأولى وارتجاج اليد للثانية .

2772 Clonus du pied, اختلاج القدم ، ارتجاجات نظيرة ٢٧٧٢

phénomène du pied, اختلاجات نخاعية ،
trépidation épileptoïde, spinale

وأرجح أن يقال في ترجمة هذه الألفاظ : ارتجاج القدم ، ظاهرة القدم ،

الاهتزاز شبه الصرعي ، نخاعي .

2772 Clonus de la rotule, phénomène de la rotule اختلاج الدافضة

وأفضل ارتجاج الدافضة ، ظاهرة الدافضة .

2773 Clou hystérique مسمار هستريسي

أقول مسمار هستريسي (١) .

2786 Cocci, microcoques مكورات دقاق

مكورات (بصيغة الجمع) ، مكورات دقاق .

2787 Coccidie كرويات

وعربها المجمع بكوكسيدية .

2788 Coccobacille de la coqueluche عصورة السعال الديكي

عصبة بورده جنفو bacille de Bordet-Gengou

2789 Coccobacille de Pfeiffer عصورة فايفر ، عصبة فايفر

bacille de Pfeiffer

وعصورة مخونة من عصبة ومكورة ، ولا استحسن هذا التمث ، لذا أرجح

أن يقال في اللفظة الأولى عصبة السعال الديكي المكورة وفي الثانية عصبة

فايفر المكورة .

2790 Coccus مكورات

والأصح مكورة بصفة المفرد وجمعها مكورات (Cocci) .

2795 Coeliaque بطني

وأقر جمع اللفظة جوافي وهو الأفضل لأن بطني تعني (Abdominal) أيضاً .

(١) الصفحة ٣٠٠ الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

2796 Cœlome. Cavité pleuro - جوف عام ، جوف جنبي - صفاقي خارجي
péritonéale

• وأرجح أن يقال الفضاء الجوافي (في الجنين) والجوف الجنبي البريطوني .

2804 Cœur en goutte قَلْبٌ مُسْتَرَخٍ ٢٨٠٤

وجاء في النص الانكليزي pendulous heart, drop heart وبهني بهذه اللفظة أهد أشكال القلب البادي في الأشعة والقلب على هيئة قطرة أو رقاص الساعة ، ويفهم من قَلْبٌ مُسْتَرَخٍ مصاب بالاسترخاء Asystolie^(١) لذا أرجح أن يقال القلب على هيئة القطرة أو رقاص الساعة .

2806 Cœur irritable, cœur de قَلْبٌ تَزِقُ ، مستثار ، قلب
guerre, cœur de soldat محارب ، قلب الجندي ، تقلب

القلب ، تناذر قاي عصبي اسراعي -syn- instabilité cardiaque,
عصائية قلبية اسراعية ، تناذر -drome neurotachycardiaque

névrose tachycardiaque, وهن دوراني
syndrome d'asthénie circulatoire

وأرجح قلب هائج ، قلب الحرب ، لا استقرار القلب ، تناذر عصبي اسراعي ،

شواش اسراع القلب ، تناذر الوهن الدوراني .

2407 Cœur mitral قلب تاجي ٢٨٠٧

وأرجح قلب الكلي كما جاء في متن الكتاب قبل تصحيح خطأ وأن

يخصص النسبة الى تاج بـ (Coronaire) .

(١) فقد ذكرت اللجنة في اللفظة ١٢٣٠ استرخاء القلب وقصوره في ترجمة

: (Asystolic. insuffisance)

- 2848 Collagène (مُكَوَّن الهلام أو الغراء) ٣٨٤٨
وأقر جمع اللفظة تعريب اللفظة بكولاجين ودرجت على استعمال مولد الغراء
وأفضل التعريب .
- 2894 Collodion (كولوديون) ٣٨٦٤
وأقر جمع اللفظة تعريب اللفظة بكولوديون وهي دارجة الاستعمال وأخف
وقمًا من عُغْرِيَاء .
- 2865 Colloïdal, ale سَبَغْرِي ، شبه رِضْرَائِي ٣٨٦٥
وأقر جمع اللفظة غراني ٦ وعندني التعريب أفضل بقولنا كوللوئيدي .
- 2868 Collutoire عُغْرَاءُ ٦ مَضْمُضَةٌ ٣٨٦٨
وقد عرفت اللفظة الفرنجية بأنها العلاج الذي يستعمل لأجل التأثير في
اللثة وفي جدار جوف الفم (معجم غارنيه M. Garnier) وأرجح بأن تترجم
اللفظة بِطِلَاء (١) الفم ، وان تخصص الفرغرة والمضمضة ترجمة للفظـة
(Gargarisme) وقد عرفت هذه بأنه العلاج السائل الذي يستعمل بخضه
في الجزء الخلفي من الحلق والبلعوم (٢) . وطبيعي أن لا ينطبق هذا التعريف على
مدلول لفظـة (Collutoire) .
- 2893 Colorant azoïque مُلَوَّن آزوتِي، جسم آزوتِي مُلَوَّن ٣٨٩٣
corps azoïque coloré
والأصح أن يقال مُلَوَّن آزوتِيكي أو مُلَوَّن الآزو عملاً بالترجمة الانكليزية
(Azodyes) ولو كانت النسبة إلى الآزوت لوجب أن تكون (Colorant Azotique)
ولكن النسبة هنا إلى صنف من المواد الصباغية تعرف بـ (Azobenzène) .

(١) في اللسان : الطِّلاء القَطْبِرَان وكل ما طليت به .

(٢) (M. Garnier et V. Delamare Dictionnaire, des termes techniques de médecine)

- 2908 Coma تسبيخ ٢٩٠٨
وأقر مجمع اللغة كلمة 'سبات' وهي الكلمة الدارجة والتي يستعملها جميع الأقطاب بلا استثناء ولا أرى مسوغاً لاستبدالها بكلمة جديدة قاموسية .
- 2910 Coma urémique تسبيخ تبواني ٢٩١٠
وأرجح 'سبات أوريميائي' وهو المصطلح الدارج أيضاً .
- 2948 Complexe auriculaire, ressaut P مشترك أذيني ٢٩٤٨
(E C G)
وأفضل المجموعة الأذينية أو المركب الأذيني إشارة P (م ق ك)
أعني مخطط القلب الكهربائي .
- 2949 Complexe intial, partie مشتركة بدائي، القسم البدائي ٢٩٤٩
initiale du complexe ven- من المشترك البطيني
-triculaire, complexe Q. R. S.
(E C G)
وأفضل أن يقال في ترجمة اللفظة وما يليها : المجموعة البدئية ، الجزء البدئي
من المجموعة البطينية ، مجموعة Q. R. S. (م ق ك) .
- 2950 Complexe Q. R S. T. complexe مشترك بطيني ٢٩٥٠
ventriculaire (E C G) ventri- مخطط بطيني
- culogramme
- وأفضل في ترجمة هذه المصطلحات : مجموعة (Q R. S T.) ، المجموعة البطينية
(م ق ك) المخطط البطيني .
- 2935 Comportement général احتمال عام ، تحمل ٢٩٥٣
والصحيح 'سلوك عام أو تصرف عام' .

2021 Conduit auditif ou ٣٠٢١ مجرى السمع الظاهر والباطن
acoustique externe et interne

والصحيح الصمخ ومجرى السمع الباطن • ففي المخصص ولسان العرب
الصمخ من الأذن ائخرق الباطن الذي يفضي الى الرأس • ولا أرى مانعاً
من أن يدعى الأول الصمخ الظاهر والثاني الصمخ الباطن •

3040 Confabulation ٣٠٤٠ هذا ، تخيل
وأرجح ائخرَف (١)

3090 Consanguinité ٣٠٩٠ إضواء (وحدة الدم)
والصحيح القربة أو القربى وإن شئت القربة الدموية أو القربى الدموية على
وجه التخصص • أما الإضواء فهو المزال والضعف البادي في الولد من القربة
في الزواج ، فهو نتيجة التقارب لا القربة ذاتها (٢) •

3091 Conscience (obnubilation ٣٠٩١ الشعور (عظمشة)
de la)

(١) في اللسان : ائخرَف بالتحريك فساد العقول من الكبير • وقد ائخرَف الرجل
بالكرم يئخرَف ائخرَفاً فهو ائخرَفٌ فسدت عقله من الكبير والأئش ائخرَفه
وأئخرَفه الهَرَمُ •

(٢) في اللسان : والضوى دفة العظم وقلة الجسم خلفة ، وقيل الضوى المنزال
ضويّ ضوىّ الى أن قال : وأضوى الرجل وولد له ولد ضويّ وكذلك
المرأة • وفي الحديث ائخرَبوا لا تضوؤوا أي تزوجوا في البيماد الأنساب لا في
الأقارب لئلا تضوى أولادكم • وقيل مناه الكعوا في الفرائب دون الفرائب ،
فإن ولد الضرب أئخرَبُ وأئخرى ، وولد الفرائب أئخرَفُ وأضوى •

- وأرجح قَسَرَ الشُّعُورِ أو الوَعِي ورَبَّما غَطَّشَ الشُّعُورِ أو الوَعِي والأوَّلَى أَفْضَلُ (١) .
- 3092 Conscience de soi - même شُعُورٌ بِالذَّاتِ ٣٠٩٢
 وأرجح شُعُورٌ بِالْأَنَا (مصطلح نفسي) .
- 3135 Constriction intestinale تَحْتَرُّ مِعْرِي ٣١٣٥
 وأرجح تَضَيَّقٌ مِعْرِي (٢)
- 3171 Contraction péristaltique تَقَلُّصٌ حَوْرِي ٣١٧١
 وأقر بجمع اللفظة التمتعج ترجمة لـ (Peristaltis) ودرجت على استعمال
 كلمة التَحَوْرِي في هذه الترجمة ، والمقصود من اللفظة الحركة البادية في الأمعاء
 والتي من شأنها أن يضيق أحد أجزائها بينما يتسع الجزء الذي يليه وتتابع
 الحركتين مما يتيح للأغذاء أن يسير في لمعها (٣) وأرجح من أجل ذلك أن
 تكون الترجمة تقلص حوري أو استداري .

(١) في اللسان : والفتر الضعف والفتر جسمه يفتتر فتورا لالت مفاصله وضعف ،
 ويقال أجد في نفسي فترة وهي كالضممة ، ويقال لشبح قد عمته كبترة
 وعترته فترة وأتراه الداء أضعفه وكذلك أتتوه السكر . والفطاش
 ظلمة الليل واختلاطه ، ليل أغطش ، وقد أغطش الليل فهو غاطش أي مظلم ،
 وفي الأساس وفلاة غطشى عمية المسالك ومررت فتفاطش أي تقال .
 أما الفطشة فقد جاء في اللسان : الفطشة الأخذ قهراً وتغطش فلان
 عيناً تغطشاً ظلاماً وبه سمى الرجل غطشاً .

(٢) في اللسان : حتر كل شيء كفافه وحره وما استدار به كحتر الأذن وهو
 كفاف حروف غضاريفها إلى أن قال : وحتر الشيء وأحتره أحكمه ،
 احترت المقدمة إحتراراً إذا أحكمتها فهي محتره ، وكل شد حتر . بينما يقصد
 بهذا المصطلح تضيق لمة المعى لا غير .

(٣) المقصود من كلمة حوري نسبة إلى حورل الشيء ما يطيف بجوابه ولا أراما في
 عملها . والتمعج كما جاء في اللسان : التمعج سرعة المَرِّ وريح متخرج سريعة
 المَرِّ وتمعج السيل يمعج أسرع وتمعج في الجري يمعج مبعباً تفتن .
 أما التصوي ففي اللسان أيضاً : والحوية استدارة كل شيء وتحوى الشيء استدار .

- 3184 Contre - coup تضاد الصدمة ٣١٨٤
وأفضل أن يقال الصدمة المُقابلة أو الراجعة أو ردة الصدمة .
- 3185 Contre épreuve ضد التجربة ، ضد الاختبار ٣١٨٥
وأفضل الاختبار المُقابل .
- 2190 Contre stimulant مضاد التنبيه ٣١٩٠
وأرجح مُهدّئ .
- 3309 Convulsion tonique, اختلاج اشتدادي ، تَحْطَرِبُ ٣٢٠٩
tonisme
وأرجح أن يقال اختلاج مقوِّم ، التقوي . لأن كلمة اشتدادي سبق وان
استعملت ترجمة لـ (paroxystique) ، واللجنة استعملت القوة والمقوي لترجمة
(tonique) وأمثالها . أما التَحْطَرِبُ فقد جاء في اللسان أنه امتلاء البطن (١) .
- 3217 Coprostase انحباس البراز ، انحباس الفائض ٣٢١٧
وأرجح ركود البراز أو ركود الفائض كما أن مطاوع حبس احتبس
لا انحبس وفق ما جاء في اللسان والقاموس .
- 3244 Cornage, dyspnée du صوت صوري ، زلة الحصان ، ٣٢٤٤
cheval, pousse نِخام
ودرجتُ على ترجمة اللفظة بالضبح . وعرفت اللفظة الفرنجية بأنها مستعارة
من الطب البيطري للدلالة على الصغير الحنجري الرغامي الشديد حتى يسمع
- (١) في اللسان : المَحْطَرِبُ الشديد الفتل ، حَطَرِبَ الوترَ والحبلَ أجاد
فنتله وشد تَوَتِيرَهُ وحَطَرِبَ قومه إذا شد تَوَتِيرَهُ ورجلٌ مَحْطَرِبٌ
شديد الشكبة الى أن قال والتَحْطَرِبُ امتلاء البطن .

من بَمَد . وفي اللسان : ضَبَّحَ يَضْبَحُ ضَبْحاً وضُبَّاحاً نَبَّحَ والضُبَّاح الضَّبَّيل وضَبَّعت الحَيْل في عَدُوها تَضْبَحُ ضَبْحاً أَسَمَت من أفواهاها صوتاً ليس بصَّهيل ولا سَمْحمة ، وقيل تَضْبَحُ تنحيمٌ وهو صوت أنفاسها إذا عَدُون إلى أن قال وفي التنزيل والمعاديات ضَبْحاً .

وفي اللسان والنحام طائر أحمر على خِطَّة الأوز واحدته نُخامة . والنَّحيم صوت من صدر الفرس ^(١) . لذا أرجح أن يقال في ترجمة هذه اللفظات : ضَبَّح ، زَلَّة الحَيْل ، تنحيم .

3268 Corps جسم ، جِسْمَان ، جَسَد وبَدَن أيضاً .

3383 Coudé. e مَكْوَعٌ وأرجح صرفتي نسبة إلى المرفق وهو مَوْصِلُ الذراع في العَضُد . أما مَكْوَع فهو نسبة إلى كوع وهو طَرَفُ الزند الذي يلي أصل الإبهام ^(٢) .

3385 Cou - de - pied عُنُقُ القَدَمِ

وهي الترجمة الحرفية للفظة الفرنسية ولم يسبق لأحد من أطباء العرب القدامى أن استعملها ولم أعثر عليها في أي معجم من المعاجم العربية . وما استعمل في الدلالة على هذه اللفظة هو صَدْرُ القَدَمِ وحمارة القدم مع بعض الفرق بين هاتين

(١) في النحاص : التنحيم والكثير صوت يكون من الصدر وفترس فاحم وقاحة .
(٢) في اللسان : الكاع والكوع ، طَرَفُ الزند الذي يلي أصل الإبهام وقيل هو من أصل الإبهام إلى الزند ، وقيل هما طرفا الزندن في الذراع والكوع الذي يلي الإبهام والكاع طرف الزند الذي يلي الخنصر وهو الكُرْسُوعُ وجمها أكواع .

اللفظتين ^(١) . وترجمة اللفظة الانكليزية (Instep) وقد صُرفت بأنها قوس الجزء المتوسط من القدم ، واللفظة الألمانية (Fussbeuge) تفيد المعنى نفسه ، مما يدل على انفراد الفرنسية بهذه التسمية التي لنا في لغتنا الضادية ما يقابلها . كما أن ترجمة اللجنة للفظ (Articulation tibio - tarsienne ou du cou de pied) بفصل عنق القدم (اللفظة ذات الرقم ١١٥٠) حريّ به أن يصحح بفصل القدم وكرسوع ^(٢) القدم أو مفصل الكعب كما جاء في قانون ابن سينا وفي كامل الصناعة .

3391 Coup de chaleur

٣٣٩١ رَمَض

ودرجت على ترجمة اللفظة بلقحة الرّمضاء ، إذ المقصود منها العوارض العامة الناجمة عن التعرض للحر الشديد والرّمض يدل على أثر موضعي ^(٣) .

(١) في المخصص إشارة : في القدم حارّتها وهي ظهر عظامها قريباً من مفصل القدم ، صدر القدم ما تحت الأصابع من مقدمها .

في اللسان : وحرارة القدم المخرّفة بين أصابعها ومفاصلها من فوق ، وصدر القدم مقدمها ما بين أصابعها الى الحمارّة .

(٢) في المخصص : كرسوع القدم مفصلها من الراق ، وكذلك في اللسان أيضاً .

(٣) في اللسان لفتحته النار تفتحته لفتحاً وفتحاً أصابت وجهه إلا أن التفتح أعظم تأثيراً منه وكذلك لفتح وجهه ، لفتحته النار إذا أصابت أعلى جسده فأحرقته لفتحته النار والسّموم بجرها أحرقته .

وفي اللسان أيضاً : الرّمض والرّمضاء ، شدة الحر ، والرّمض حرّ الحمارّة من شدة حرّ الشمس وقيل هو الحرّ والرّجوع عن المبادي إلى الحاضر وأرضه ريمضة ، والرّمض شدة وقع الشمس على الرمل والأرض ريمضاء الى أن قال : ورّمض الإنسان ريمضاً : مضي على الرّمضاء والأرض ريمضة ورّمض يرمنا بالكسر ريمض ريمضاً اشتد حره ، ورّمضت قدمه من الرّمضاء أي احترقت .

- 3399 Coup de soleil, insolation رَعَن ٣٣٩٩
 والصحيح رَعَن بالتحريك^(١) .
- 3472 Coxalgie وُراك ٣٤٧٢
 والصحيح الألم الحرقفي أو الألم الحنجبي نسبة الى الحرقفة والحجبية^(٢) ،
 وهو الاسم الدارج بين الأطباء وفي كتب التشريح إذ الورك ينبغي أن يخصص
 للفظنة (Ischion) وقد أطلقت عليها اللجنة الورك أيضاً مما يوجب
 الالتباس بينهما .
- 3473 Coxalgie hystérique, maladie de وُراك هَرَعي ٣٤٧٣
 داء برودي Brodie
 وأرجح ألم حرقفي هستريائي أو ألم حنجبي هستريائي^(٣) .
- الدكتور حسني سبع (للبحث صلة)



- (١) في الغاموس المحيط : الأَرَعَن الأهوج في منطقه والأحق المترخي وقد رَعَن
 مثله رُعونة ورَعَناً محرّكاً وما أَرَعَنته ورَعَنته الشمس آلمت دماغه فاحترق
 لذلك وُغِي عليه والرَعَن أنف يتقدم الجبل ج رُعُون ورَعَان والجبل الطويل .
- (٢) لا أدري لماذا تخلت اللجنة عن الحرقفة في ترجمة كلمة (Hanche) واستبدلتها
 بورك فقد جاء في اللسان الحرقفتان رؤوس أعالي الوركين بمنزلة الحجبية ،
 والحرقفتان مجتمع رأس للفخذ ورأس الورك حيث يلتقيان من ظاهر .
 الحرقفة عظم الحجبية وهي رأس الورك . والحجبية بالتحريك رأس الورك
 والحجبتان حرّفا الورك اللذان يُشرفان على الحاصرتين .
- (٣) انظر الصفحة ٣٠٠ من الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

مختارات مما لم يُنشر من شعر البحري^(١)

- ٦ -

قال البحري^(٢) يمدح أحمد بن محمد بن بسطام^(٣) :

(١) أخبرنا بعض المائدين من مصر أن الأستاذ حسن كامل الصيرفي قد دفع إلى مطبعة دار المعارف بالجزء الأول من تحقيقه لديوان البحري الكامل ، ولهذا رأينا أن نختم مختاراتنا بتقديم هذه الحلقة الرابعة والأخيرة منها ، وكلنا أمل ألا يطول انتظارنا بحد اليوم ، وإلى الأستاذ الصيرفي أطيب تحياتنا وأصدق رجائنا بأن تتم هذه « المعجزة » على يده ، وفقه الله .

(٢) القصيدة من الطويل ، عدد أبياتها ٣٦ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحري بالمشكاة الوطنية بباريس (رقم ٣٠٦٨ من القسم العربي) الورقة ٣٢٨ و - ٣٢٩ و والذي يؤكد صحة نسبتها إلى البحري أن المعري في (عبث الوليد : مطبعة الترقى في دمشق ١٩٣٦ : ص ١٩٠ - ١٩١) يذكر الشطر الأول من مطلعها والآيات : ٩ و ١٢ و ٣٤ منها .

(٣) أبو العباس أحمد بن محمد بن بسطام الكاتب أحد أعيان الفرس ، ومن أشهر رجال الدولة في النصف الثاني من القرن الثالث ، وكان ممدوحاً « مشهوراً بمظلم مسوؤه وكثرة معرفته » كما يقول عنه التنوخي على لسان الخليفة الممتضد (نشوار المحاضرة - مطبعة المفيد بدمشق ١٩٣٠ م : ٨ / ٦٥) ، وقد مدحه البحري بمشعر قصائد ، ثلاث منها لا تزال مخطوطة ، وهذه القصيدة إحداها ، ويبدو أن اتصال البحري بأبي العباس بدأ في الشام ، حيث كان الممدوح يتولى بعض الأمور (ديوان -

(٧١)

- ٩٢ -

هواها - على أن الصُدودَ سبيلها -
 وإن جرد الواشونَ في صرْمِ حَبْلِها
 ومولعةٌ بالهجرِ 'يقلِي' ودودها
 أذال^(١) مصوناتِ الدموعِ اهتجارها
 وما الوجدُ إلا أدمعٌ مُستَهَلَّةٌ
 أسيتُ فأعطيتُ الصبابةَ حقها
 وهل هي إلا لوعةٌ مُستَسرَّةٌ
 مُقيمٌ بأكنافِ الحشا ما يزولها
 وأبدعَ في فرطِ الملامِ عذولها
 ويُقصي مُدانيها ويُجفِي وُصولها
 ولولا الهوى ما كان شيءٌ يُذيلها
 إذا ما مرأها^(٢) الشوقُ فاضَ همولها
 غداةَ استقلتُ للفراقِ حُمولها^(٣)
 يُذيبُ الحشا والقلبَ وجداً غليلها

— البحتري : الجواب : ١ / ١٣٥) وفي العراق توثقت أواصر الصداقة بينهما ، وكان الممدوح يتقلد أعمالاً مالية وإدارية وكتايبية (نشوار المحاضرة : ٨ / ٥١ - ٥٢) والبحتري في مدائحه له يتحدث عن حسن سياسته في جمع الخراج ، كما يصوره كاتباً مجيداً وقائداً فارساً شجاعاً (الديوان - الجواب : ١ / ١٣٩ و ٢ / ١٣٩ ؛ ومخطوطة الديوان الباريبية : الورقة ٣٨١ - ٣٨٢) وحول إحدى مدائح البحتري فيه ثارت تلك المعركة الشعرية بين البحتري وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، ونجد صدى هذه المعركة في ديوان البحتري (الجواب : ١ / ١٤٢ - ١٤٣) وبعض كتب الأدب (الموشح للمرزباني - السلفية ٥١٣٤٣ : ص ٣٥١) .

(١) أذال السمع : صفحه .

(٢) صرى' السمع : استدره وأرسله .

(٣) الحمول : الموادج أو الأوبل التي عليها الموادج .

ولولا معالي أحمد بن محمد لأضحت ديار الحمد وحشاً^(١) طولها
 فتى^(٢) لم يميل بالنفس منه عن العلى إلى غيرها شيء سواها يسيلها
 يرد بني الآمال بيضاً وجوههم بنائلة جم العطايا جزيلها
 فليس يبالى مستميجو نواله أصاب الليالي خصبها أم نحو لها
 أنار^(٣) به بسطامه^(٤) ومحمد قمام^(٥) على يعيي الملوك حلولا

(١) المكان الوحش : القفر .

(٢) أورد المعري البيت في (عبث الوليد) هكذا :

متى لم يميل بالنفس فيه عن العلى إلى غيرها شيء سواها يُميلها
 ثم علق عليه بقوله : « كان في النسخة - يعني التي كانت تقرأ عليه - « شيء سواها »
 والمعنى صحيح إن كانت الرواية على ذلك ، كأنه يريد أن هذا الرجل إذا لم يُسأل
 شيئاً ، أو مترد منه معونة ، فهو يميل نفسه إلى البر والأفعال الحسنة وإن لم
 يُسأل ولم يُستمن ، وهذه المذكورات كلها شيء هو غير المدوح ، والماء يفي
 (سواها) راجعة عليه . »

(٣) في (عبث الوليد) : « كان في النسخة (أناب به) وهي كلمة نادرة في هذا الموضع ،
 ولو أنها (أناب) لكأن أشبه . . . وفي بعض النسخ (أناف) وهو أشبه بضمه . »

(٤) جد المدوح ، واسم المدوح أحمد بن محمد بن بسطام .

(٥) في (عبث الوليد) : « في النسخة (القمام) مرفوعة ، وإنما يجوز ذلك إذا جمعت
 بدلاً من (بسطام ومحمد) ، والمعنى يصح على ذلك إلا أنه بعيد ، والأحسن أن
 يكون (أبن) في موضع (أناب) أي أقام ولزم ؛ (قمام على) ينصب بوقوع
 الإبتان عليها ؛ وقد أساء البحتري في قوله (قمام) لأن المعروف (قِم) إلا أن
 زيادة الألف ها هنا جائزة ، تُشبهه بقلال وقباب . »

له همم لا تملأ الدهر صدره
 إذا لاحظ الأحداث عن حدٍ سُخِطَه
 لقد أُعْطِيتَ منه الرعية فوق ما
 نفى الجور بالعدل المبين فأصبحتُ
 فأثرى به من بعد بُؤسِ عديمها
 وسارع طوعاً بالخراج أيتها
 وما زال ميمون السياسة ناصحاً
 ينال بحسن الرفق ما لو يرومه
 له فكرٌ عند الأمور يُريته
 تتابع منه كل يوم فضيلةً
 إذا كرّها بالبرّ منه أعادها
 له نبعه في العزّ طالت فروعها
 يضيّقُ بها عرض البلادِ وطولها
 تضائل عند اللحظِ خوفاً جليلها
 ترقت أمانيتها إليه وسؤلها (١)
 معاهدته لم يبق إلا تحيلها (٢)
 وعزّه به من بعد خوفٍ ذليلها
 وعاد حليماً بعد جهلٍ جؤولها
 له شيمٌ زهرٌ يقبلُ عديلها
 سواه بيض الهند خيف فلولها
 عواقبها في الصدر حين يُجِيلها (٣)
 يفوت ارتداد الطرف سبّاقاً عجولها
 على النهج محمود السجايا جميلها
 وطاب ثراها واطمأنت أصولها

(١) سؤلها مخففة من (سؤلها) وهو ما تسأله وتطلبه .

(٢) دار محبلة : غاب عنها أهلها منذ حول ، وكذلك إذا أنت عليها أحوال .

(٣) في مدائح البحتري الأخرى لأبي المباس مثل هذا المعنى ، كقوله :

وذو هاجس لا يحجب الغيبُ دونه
 تربيه بطون المشكلات ظهورها

(الديوان - الجواب : ٢ / ١٣٨)

ولو وُزِنَتْ أركانُ رَضْوَى وَيَذُبُّلٍ وَقُدْسٍ^(١) به في الحلم خفَّ ثَقِيلُهَا
 له سَطَوَاتٌ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَلَى مُبْجِ الأَعْدَاءِ لَا تَسْتَقِيلُهَا^(٢)
 إِذَا جَارَتْ الأَمَالُ عَنْ قَصْدِهَا اغْتَدَى إِلَيْهَا نَدَاهُ الْجَزْلُ وَهُوَ دَلِيلُهَا
 وَمَا شَأَى^(٣) فِي المَجْدِ سَبْقًا تَقَدَّمَتْ لَهُ فِي مَدَاهُ غَرَّةٌ وَحُجُولُهَا^(٤)
 سَلِيلُ المَعَالِي وَالفَخَارِ وَإِنَّمَا يَتِيَهُ وَيُزْهِىُ بِالمَعَالِي سَلِيلُهَا
 فِدَاكَ أبا العباسِ مِنْ كُلِّ حَادِثٍ مِنَ الدَّهْرِ مَنزُورُ العَصَا يَأْمَطُوكَهَا^(٥)
 فَكَمْ لَكَ فِي الأَمْوَالِ مِنْ يَوْمٍ وَقَعَةٍ طَوِيلٍ مِنَ الأَمْوَالِ فِيهِ عَوِيلُهَا
 وَمِنْ صَوْلَةٍ فِي يَوْمٍ بُؤْسٍ عَلَى العَدَى نُيْهَالُ^(٦) فَوَادُ الدَّهْرِ حِينَ يَصُولُهَا

(١) رَضْوَى وَيَذُبُّلٍ وَقُدْسٍ جبال مشهورة في الجزيرة العربية ، أولها بالحجاز على صبع

مراحل من المدينة (معجم البلدان - بيروت : ٣ / ١٠١) ، والثاني والثالث في نجد

(معجم البلدان : ٥ / ٤٣٣ و ٤ / ٣١١) .

(٢) لا تَقِيلُهَا وَلَا تَسَاهَا .

(٣) شَأَى القَوْمَ : سَبَقَهُمْ .

(٤) الفرة بياض في جبهة الفرس والحجول بياض في قوائمه .

(٥) منزور المطاه : الرجل الذي ألح عليه في طلب المطاه ، والمطول : الكثير المطل .

(٦) هاله الأمر : أفزعه وعظم عليه .

إليك سرّ عُشّ القوافي كأنها كواكبٌ ليلٍ غاب عنها أفولها
 بدائعٌ تأتي أن تدين^(١) لشاعرٍ سواي إذا ما رام يوماً يقولها^(٢)
 تزولُ الليالي والسُّنُونُ ولا يرى على العهدِ طولَ الدهرِ شيءٌ يُزيلها
 يهيجُ إطراباً^(٣) الملوكِ استماعها فيحمدُ راويها ويحيا قؤولها

* * *

(١) في (عبث الوليد) : تبين .

(٢) بقول المهري في (عبث الوليد) : «أراد البحتري (أن بقولها) فحذف (أن) وهو جائز ، إلا أنه رديء ، ومن جنسه قول طرفة :

ألا أبهذا الزاجري أحضر الوشي وان أشهد اللذات هل أنت مخلي

وبعض الناس بفر من حذف (أن) فينشد :

« ألا أبها الأجيء أن أحضر الوغي »

(٣) أطربه إطراباً : حمّله على الطرب .

ملاحظات ونظرات

١- هذه القصيدة واحدة من ثلاث لا تزال مخطوطة ، قالها البحتري في مدنيح أبي العباس أحمد بن محمد بن بسطام ، وفي ديوان البحتري المطبوع سبع قصائد أخرى في مدنيحه ، فابن بسطام إذاً أحد كبار ممدوحى البحتري ، وقد قدّمنا ترجمته ، ورجحنا أن يكون اتصال الشاعر به قد تمّ في الشّام أولاً ثمّ ازدادت الصلة توثيقاً في العراق ، لقول البحتري لممدوحه من قصيدة :

فكنا بالشّام - إخال - خيراً - لرعيّ الودّ منا بالعراقِ

(الديوان - الجواب : ١ / ١٣٥) .

٢- ليس من السهل تحديد تاريخ انظم القصيدة ، فليس فيها ما يعيننا على تأريخها ، غير أننا نميل إلى الظن بأن القصيدة ثمة الصلة الأولى بين الشاعر وممدوحه في الشّام ، ذلك أن البحتري لا يشير فيها إلى الأعمال الرسمية المهمة التي أصبح يقوم بها في العراق ، واتصال الشاعر بممدوحه في العراق يعاصر ثورة الزنج ، لأنه يتحدث عنها في إحدى مدائحه لابن بسطام آنذاك (الديوان - الجواب : ١ / ١٢٧) وفي قصيدة أخرى يشير البحتري إلى أن عمره أوفى على الخمسين (الجواب : ٢ / ١٣٨ - ١٣٩) وهذا كله يؤكد أن اتصال البحتري بممدوحه في العراق كان حوالي ٢٥٦ هـ ، أي في المرحلة التي قضاها الشاعر في العراق بعد المتوكل ، وعلى هذا تكون القصيدة قد نظمت قبل سنة ٢٤٧ هـ ، وهي السنة التي قتل فيها المتوكل .

٣- تقع القصيدة في ثلاثة أقسام متميزة : نسب ومدنيح وفخر بالشعر ، أما النسب فيشغل الأبيات (١ - ٧) وهو غزل تشيع فيه حرارة قلب شاب ، متقد اللوعة ، فيأضّ الدمع ، على الرغم من أن صورته كلها تقليدية لا جديد فيها .

وأما المديح فبشغل الأبياب (٨ - ٣٣) وقد مجد الشاعر فيه كرم الممدوح (فهو يمطي الجزبل حتى يبيت مستحيحوه هانتي الببال وقد تحققت آمالهم) وشرف نسبه (فأبوه وجده رفعا له أعلى الدرى ، وشجرة عنزه طويلة الفروع ضيية الثرى مطمئنة الأصول ، وهو سليل المعالي والنخار) وشجاعته وحلمه وعقله (فله في أعدائه وقمات وسطوات ، وهو يفوق الجبال رزاقه وتمقلا) وإلى هنا يوقى البحري أقانيم المديح التقليدية الثلاثة حقيا (الكرم وشرف النسب والشجاعة) ويضيف إلى ذلك تمجيد همة ممدوحه وحسن تدبيره وسياسته للرعية ، فقد حقق لها أمانها ، وأزال عنها الظلم بمدله ، فأثرى بفضلها العديم ، وعنزه بقوته الدليل وأسرع الناس يدفعون الخراج ، ويدعون الجهل والطيش ، راضين مطمئنين .

وأما الفخر بالشعر فبشغل الأبيات الباقية (٣٣ - ٣٦) فقوافي البحري غير كالكواكب ، وقصائده بدائع لا تدين لغيره ، وهي خالدة تتناقلها الألسن ، تُعجب وتُترب آذان الملوك ، فيحمدون لذلك راويها ويمجدون قائمها .

٤ - أبرز سميات القصيدة موسيقاها الذهبية الصافية ، فهي من ذلك النمط القنائي الرفيع الذي من أجله سموا شعر البحري « سلاسل الذهب » وقد أغنى البحري قصيدته بالكلوبينات الصوتية من جمل مترادفة وجمل متوازنة ، وألوان منسجمة من الطباق والجناس ، ولا نلتصم الأمثلة لذلك فالصنعة تفيض في القصيدة ، ولكن الذي خفف من كثافتها عفوية الطبع القلاب وموسيقية فن البحري المعجزة .

٥ - القصيدة إذا من جيد شعر البحري ورائعه ، وهي لا تتأخر عن أجود المختار له ؛ وهذا كله يزيد حسرتنا في أن نظل مثل هذه القصيدة البحترة الفريدة دفينة المخطوطات إلى اليوم .

- ٧ -

وقال البحتري^(١) يمدح 'نخاراً وبه'^(٢) بين طولوت :
تفتاً^(٣) عجباً بالشئ تذكره وإن تولي وانقضى عصرة

(١) القصيدة من المنسرح ، عدد أبياتها ٣٧ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري
بالمكتبة الوطنية بباريس : الورقة : ١٩٦ و - ١٩٧ و ، ونسبة القصيدة إلى البحتري
مؤكدة ، فكثير من كتب الأدب يورد بعض أبياتها ، ففي كتاب التثبيات
لابن أبي عون (مطبعة كبرديج) ص ٧٩ نجد الأبيات ٣ - ٦ و ص ٣١٩ نجد
البيتين ٣١ و ٣٢ ؛ وفي عبث الوليد للمعري ص ١١٦ نجد الشطر الأول من
المطلع والبيت التاسع ؛ وفي طيف الخيال للشريف المرتضى (مخطوطة) نجد الأبيات
٣ - ٦ نقلاً عن (الموازنة للآمدي) ولا نجد الأبيات في الموازنة المطبوعة
(وطبعات الموازنة إلى اليوم كلها ناقصة) ؛ وفي معجم البلدان لياقوت (بيروت : ١ / ١٩٢)
نجد البيتين ١٦ و ٢٠ ؛ وفي المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام للجرجاني
(الطرائف الأدبية بتحقيق الميني ١٩٣٧ : ص ٢٤٩ نجد الأبيات ١٣ و ٣١ و ٣٢ ؛
وقد أورد الدكتور محمد صبري القصيدة إلا البيت ٣٤ منها في كتابه القيم عن
البحتري في سلسلته (الشواخ) نقلاً عن مخطوطة خاصة يملكها اللديوان ، وعلى الرغم
من استفادة شهرة هذه القصيدة فإن الديوان في طبعاته الثلاث لا يجوبها !

(٢) قدمنا ترجمته في العدد الأول من المجلد ٣٤ من مجلة المجمع (كانون الأول سنة ١٩٥٩
ص ١٠٢) .

(٣) في عبث الوليد : « تفتاً من قولهم ما فتى أي مازال وهذا رديء جداً لأن
(لا) إنما تحذف في القسم خاصة لأن مكانها قد صرف هنالك فاستغنى السامع -

ذُكرت من واسطٍ ^(١) وبارحها ليل السواجير ^(٢) ساجياً سحره
وزائراً ^(٣) زار من أعقته ^(٤) يميل ^(٥) وزناً بانسه ذعره ^(٦)
كانه جاء مُنجزاً عِدَّةً وبثُّ في الراقبين أنتظره
لم أنسه مُوشكاً على عَجَلٍ ^(٧) مُداحجاً في الحديث ^(٨) يختصره

— أن تُذكر له ٠٠٠ ولبس في بيت أبي عبادة ما يدل على القسم ٠٠٠ وقد جاء في شعر بعض العلماء (قنث) مهموزاً ، ولو رويت (تقناً عجباً) لكات أبيين وأسوخ في قياس العربية « ومعنى تقناً : تكسب وتملك .

(١) يذكر ياقوت أن للعرب سبعة أواسط في أقطار متفرقة ، ولكن البحتري يريد هنا واسط الحجاج بالعراق ، لأنه كان هناك قبل قدومه على خمارويه ، وسُميت واسط الحجاج لأن الحجاج بناها ، ولأنها متوسطة بين البصرة والكوفة (معجم البلدان ٣٤٧/٥) .

(٢) السواجير : نهر من عمل منبج بالشام كما يقول ياقوت (معجم البلدان : ٣ / ٢٧١) ولبس في منبج اليوم نهر ، ولعله أقيمت المياه الرومانية القديمة آنذاك ، ومن عادة البحتري أن يطلق (السواجير) ويريد بلده منبج (أخبار البحتري : ١٣١) .

(٣) في (طيف الخيال) : وزائراً .

(٤) جمع عقيق وهو الوادي وكل مسيل ماء شقه السيل قديماً فوصفه .

(٥) في (تشبيهات ابن أبي عون) : يخلط .

(٦) إنما يريد به أن ذعره أرجح وأزبد من أنسه (طيف الخيال) .

(٧) في مخطوطة صبري : وجل .

(٨) في (طيف الخيال) : للحديث .

كأنما الكاشحون قد خرصوا^(١) مكانه أو أتاهم خبره
 وقد دعا ناهياً فأسمعتني وخط^(٢) على الرأس مخلص^(٣) شعرة
 شيب^(٤) أرتني الأسي أوائله فليت شعري ماذا تُري أخزه
 صغر^(٥) قدري في الغانيات وما صغر صباً تصغيره كبره^(٦)
 ولي فؤاد^(٧) دنت إفاقته فانزاح إلا صبا^(٨) سكره
 بين^(٩) التكالف والنزوع فما تأخذه لوعة ولا تذرته
 كل^(١٠) امرئ مرصد^(١١) لعاقبة سامي^(١٢) إليها رجاءه حذره

(١) إذا يريد أنهم قد حزروا مكانه ، وصبق ظنهم إليه ، من الخرص الذي هو
 حزر^(١) ثمرة النخل ، لا من الخرص الذي هو الكذب . (طيف الخيال) . وفي
 المحيط : كم خرص أرضك ؟

(٢) وخطه الشيب : خالط سواد شعره .

(٣) أخلص الشعر : ابيض بعضه فهو مخلص .

(٤) بقول الممرى في (عبث الوليد) تعليقاً على البيت : « هذا شيء يجترى عليه البعثري
 لسعة يحره في القريض ، وكان لا يحفل بضرورة ولا حذف ، وغرضه في هذا البيت :
 وما صغر شيء [صباً] مثل ما صغره كبره ، والهاء في (تصغيره) راجعة على الصب ،
 وقد حذف اسم الفاعل الذي يرتفع بصغر اعتياداً على علم المخاطب بذلك »

عبث الوليد : ١١٦

(٥) الصبا : البقية القليلة .

(٦) من كلف الأمر : تجشمه على مشقة وعسرة ، والواحدة : تكافة .

(٧) في (الأصل) : ماوى ، وأثبتنا رواية مخطوطة صبري .

لَا تَسْخَطِ الْمَصْعَدَ الْمَهُولَ إِذَا كَانَ إِلَى مَا تَرْضَاهُ مُنْحَدَرُهُ
تُثُوبٌ^(١) حَالُ الْفَتَى وَإِنْ لَجَّ صَرُّهُ فِي الدَّهْرِ يَجْنِي عَلَيْهِ أَوْ يَتَرَدُّ^(٢)
تُثُوبٌ^(٣) ذِي الْأَثْرِ^(٤) إِنْ يُعِدُّ صَنْعَهُ^(٥) لَهُ صِقَالًا يَوْمًا يَعُدُّ أَثْرَهُ
هَلْ يُلْقِيَنِي إِلَى رَبَاعٍ^(٦) أَبِي الْجَيْشِ^(٧) خِطَارٌ^(٨) التَّغْوِيرِ^(٩) أَوْ خَطَرُهُ^(١٠)
مُخِيمٌ فِي دِمَشْقَ مِنْ دُونِهِ أَلْخَرَقُ^(١١) بَعِيدٌ مِنْ وَرْدِهِ صَدْرُهُ
أَعَارَهَا مِنْ ضِيَائِهِ وَغَدَا نَحْرًا لَهَا مَجْدُهُ وَمُفْتَخَرُهُ

(١) في مخطوطة صبري : تبين .

(٢) وتره يترده : أفزعه وأصابه بظلم أو مكرهه .

(٣) في مخطوطة صبري مكان (ثوب ذي الأثر) نجد (إبانة السيف) .

(٤) ذو الأثر : السيف ، والأثر : جوهر السيف .

(٥) الصنعة : الحاذق الماهر في الصنعة .

(٦) في الأصل : الأمير ، وفضلنا رواية مخطوطة صبري ومعجم البلدان .

(٧) هو خمارويه ، و (جيش) أكبر أولاده وخليفته من بعده (انظر مجلة الجمع :

العدد الأول من المجلد ٣٤ ص : ١٠٨ (ك ٣ : ١٩٥١) .

(٨) خطار : أن تخطر الناقة بذنبها في السير نشاطاً ، ومنها الناقة الخطارة التي تضرب

بذنبها بيناً وشمالاً .

(٩) التغوير : السير في الغور ، وهو ما انحدر واطمان من الأرض .

(١٠) عند ياقوت : غمره : وهو كالخطر : التمريض للهلاك .

(١١) الخرق : الأرض البعيدة الواسعة تنخرق فيها الرياح ، والفلاة الواسعة .

كاد دُجى الليل من طلاقته يُقمرُ والأفقُ ساقطُ قمره
 وبين أسوان^(١) والفرات^(٢) زهتُ رعيةً ما يُغيبها^(٣) نظره
 يبلغ أقطارها ، وتعلمه مجتمعا في صلاحها وطره
 يقصرُ شأؤُ الملوك عن ملك نجلته دونهم وتجتهره^(٤)
 أغر منهم والشهرُ آنسه لطالب ذي لبانة غرره^(٥)
 والصنغ^(٦) إذ يرتجيه أملة مرجى إلى أن يسوقه قدره
 كالسهم لا يكتفي بوحدته القانص حتى يعينه وتره
 وقد كفى غول^(٧) دهره جبل يعظم عن أهل دهره خطره

- (١) مدينة كبيرة في آخر صعيد مصر على النيل في شرقه (معجم البلدان : ١ / ١٩١) .
 (٢) في (معجم البلدان) : العراق .
 (٣) غب القوم وأغبهم : جاءهم يوماً وتركهم يوماً ، والمعنى أن نظره لا ينقطع ،
 وعنايته بهم دائمة .
 (٤) ننظر إليه جواراً نستعظمه ، ويبدو أن في مثل هذا القول ترميضا بالمباييين .
 ويقول البحري الجارويبه أيضا في قصيدة أخرى لا تزال مخطوطة :
 أراك تزيد في عيني وفلي إذا تقصت موازين الرجال
 (مخطوطة باريس : الورقة ٣١٤ ظ) .
 (٥) الفرر : ثلاث ليالٍ من أول الشهر .
 (٦) الإحسان والرزق .
 (٧) مشقة .

يُخَشَى شَدَاهُ ^(١) وَغَيْرُ مُغْتَبَطٍ نَفْعٌ مُرَجَّى لَا يُخَشَى ضَرَرَهُ
 إِنْ سَارَ عَادَ النَّهَارُ مِنْ رَهْجٍ ^(٢) الزُّمِّ (م) حَوْفٍ ^(٣) لَيْلًا يَسُودُ مُعْتَكِرَةً ^(٤)
 فَالْجَوْثُ كَابِي الأَرَوَاقِ ^(٥) أَكَلَفَهَا ^(٦) وَالمَاءُ طَرَقَ ^(٧) نَمِيرَةً كَدِيرَةً
 عِبٌّ عَلَى الوَاصِفِينَ تُؤَثِّرُ أَخْبَارُ نَدَاهُ وَتُقْتَفَى سِيرُهُ
 إِذَا عَلَا فِي بَهَاءِ مَنْظَرِهِ أَرَبَى عَلَيْهِ فِي الحُسْنِ مُخْتَبَرُهُ
 كَالغَيْثِ مَا عَيْنُهُ بِبَالِغَةٍ بَعْضَ الَّذِي رَاحَ بِالغَا أَثَرُهُ
 لَنَا عِتَادٌ مِمَّا يَرَاهُ لَنَا نُنْفِقُهُ تَارَةً وَنَدَّخِرُهُ
 يَثْلَمُ فِي وَفْرِ ^(٨) لَابِسٍ مِقَّةً ^(٩) يَكَادُ حُبًّا بِحِظِّهِ يَفِرُّهُ ^(١٠)

- (١) الشذا : الأذى والضرر .
 (٢) الرهيجُ والرَّهَجُ : ما أثير من الغبار .
 (٣) في مخطوطة صبري : الزحف ، ولا يستقيم بذلك وزن البيت ، ولم يفتبه
 الدكتور صبري إلى ذلك .
 (٤) اعتكر الليل : اشتدَّ صواده .
 (٥) جمع رَوَقٍ وهو الرواق ، ورواق الليل ظلمته .
 (٦) الأكلف من به كلفة أي حمرة كدرة أو صواد أشرب حمرة كالشفعة .
 (٧) الماء المجموع الذي خوتخت الأوبل فيه وبوت .
 (٨) الوافر : المال الوافر .
 (٩) كفا في الأصل ، ولم يرد البيت فيما نقله الدكتور صبري من القصيدة .
 (١٠) وفر المال يفره : صانه .

أزهر والروض^(١) لا يروكك أو يحكي مصاييح ليله زهره
 يُخيل^(٢) حتى ترى النجاح على ظاهر بشرٍ مُبينَةٍ بُشْرَه^(٣)
 والغيمُ محبوكةً طرائقه أحجى من الصحو يُرتجى مَطْرَه

* * *

ملاحظات ونظرات

- ١ - كنا ذكرنا في ملاحظتنا على القصيدة الأولى في هذه السلسلة من المختارات (العدد الأول من المجلد الرابع والثلاثين من مجلة الجمع) أن للبحثري أربع قصائد في خمارويه بن أحمد بن طولون لا يحويها الديوان في طبعاته الثلاث ، وقدّمتنا هنالك أولى هذه القصائد ، وهذه ثانياً أردنا أن تقدمها إلى القراء ، ليروا فيها لوناً جديداً من صياغة البحثري ، تغلب فيه الصنعة الحاذقة حفظ الطبع ، وتظل مع ذلك في الطبقة الرفيعة من فن البحثري .
- ٢ - وكنا ذكرنا أن اتصال الشاعر بالأمر الطولوني بدأ منذ سنة ٤٢٧٩ هـ فتاريخ نظم القصيدة إذا وقع في المرحلة الأخيرة من حياة البحثري .
- ٣ - نلاحظ في القصيدة أقسام ثلاثة : نسيب وحكمة ومديح .
 أما النسيب فهو يبدوه بتصوير حنينه إلى بلده منبع ولطيف ليله وسحره وهو غريب عنه في واسط العراق ، ثم ينتقل إلى الغزل بالطيف الزائر لبلاد ، وللبحثري شهرة بوصف طيف الخيال ، ولهذا وقف الشريف المرتضى في كتابه « طيف الخيال »

(١) في مخطوطة صبري : والليل .

(٢) يُبشّر بالخير ، وتقول : أخبت السماء : تهبّات للمطر .

(٣) جمع بشور وهي البشارة .

عند هذه الأبيات وقفة خاصة ، وإن يكن قد قال في آخرها « وهذه الأبيات ليست خالصة لوصف الطيف ، بل يجوز أن يكون المراد بها زائراً زار في البقعة ، فالكلام محتمل في الطيف وغيره » ويحتمل للبحري بعد ذلك أن يذكر شبيهه ، وهو يقول القصيدة وقد أربى على السبعين من عمره ، وذكره لشبيهه الذي صغر من قدره عند الفواتي يدفعه إلى إعلان شكواه من قلبه السادر في ضلاله وغوايته على الرغم من مشيبه .

وأما الحكمة فيكرب فيها الشاعر الشيعي شيئاً من عصارة تجاربه في الحياة ، فكل إنسان عنده مهياً لا قدر عليه ، وهو لذلك بين راجٍ وحذر ، وعلى الإنسان ألا يفض للظريق المصعدة الخيفة إذا كان منحدرها يؤدي به إلى ما يرضاه ؛ وحال الإنسان - كلما ألت عليه مصائب الدهر - كالسيف يعود إليه أثره إذا جلاه الحاذق الصنّاع .

وأما المدح فقد أغناه الشاعر بتجديد مدوحه في طلائته وحنن سياسته للرعية وفي شجاعته وكرمه ، فخمارويه مقيم في دمشق ، وقد أعارها من ضيائه ، وأقر الليل فيها من طلائته ، ورعيته من أسوان في أقصى مصر إلى مشارف العراق على الفرات زاهية بحسن تدبيره وجميل صميمه في صلاحها ، وخمارويه بفضل الملوك ، فهو غرة بينهم ، وهو شجاع يقود العسكر اللجج ، ويزحف به فيمتكر النهار ، ويصير ليلاً من كثرة الغبار ؛ وخمارويه كريم ، تؤثر أخبار نداءه ، وتتناقل سير جوده ، وبعطي من ماله الوافر ، وطلاقة وجهه الدائمة تبشر العفاة بالخير المقبل كما يبشر الفيم بالمطر المرجو .

٤ - يجب أن نلاحظ أيضاً أن الشاعر يسكت في هذه القصيدة مرة أخرى عن تجديد رفعة نسب مدوحه ، وكنا ذكرنا أن إثارة ذلك يصل بالشاعر إلى والد خمارويه ، أحمد بن طولون ، وموقف البحري من أحمد هذا لا يعينه على أن يذكره بخير ، كما قدّمنا .

٥ - لاحظنا في بعض الأبيات تمرىض البحرى بالعباسىين ، فهو بفضل شماروبه على غيره من الملوك ، ويخصه منهم بالتجلة والتعظيم (البيت ٢٢ وتعليقاتنا عليه) وقد ذكرنا في مقدمتنا لكتاب (أخبار البحرى) أن من أسباب ضياع شعر البحرى في بني طولون ورجائهم ما فيه من تمرىض بالعباسىين ، فقد كان « الطولونيون دعاة استقلال وانفصال عن الخلافة المركزية ، وكل دعم شماروبه هو في حقيقةه دعم لهذه الميول الانفصالية التى ينكرها العباسيون ، ويخوضون الحروب من أجلها » ولم يكن باستطاعة الصولى وغيره من جمعرا شعر البحرى من العراقىين أن يذبحوا شعراً في تمجيد دولة الطولونىين ، وبخاصة إذا كان فيه مثل ما ذكرناه من التمرىض الظاهر بغيرهم . (انظر أخبار البحرى : ٨ - ٩) .

٦ - تمتاز القصيدة بكثافة صنمها ، حتى ليقف القارئ أمام بعض آياتها حائراً ، لا يكاد يتبين معانيها أول وهلة ، والمعجب أن يحمل الشاعر نفسه في شىخوخته على مثل هذا الجهد الفنى المصنوع ، وأن يصبر عليه ؛ ونلخص الحكم على القصيدة بما قاله قبلنا الشريف المرتضى فيها : « هذه الأبيات الرائية معانيها أجود من ألفاظها ، وتظهر فيها بعض كلفة الصنعة ، وهى مع ذلك في غابة الحسن » .

الدكتور صالح الأشر

جامعة دمشق - كلية الآداب

كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

- ٩ -

الفصل الحادي عشر

القول في القوة الناطقة

وقد يجب أن نفحص عن القوة الناطقة ، وأي قوة هي ؟ وما هي ؟ وهل هي نفس ؟ أو قوة للنفس ؟ فإن كانت قوة للنفس على ما يظن فعلى أي جهة تنسب إليها للنفس . ويجب أن نفحص عن هذه القوة هل هي دائماً فعل (١) أو هي تارة قوة وتارة فعل . فإن كان ذلك فلها هيولى ، وإن كان لها هيولى فلها محرك إذ كل متحرك فله محرك . فما هذا المحرك (٢) ؟ وأي وجود وجوده ؟ ويطابق بذلك كنه المعارف من أمرها وما يشاهد بالحس من أحوال الجسم الطبيعي التي هي له . فإن ذلك مما يفيد الناظر أشياء مما (٣) يقال فيسده ذلك ذلك الوقوف بنفسه على النفس في ذلك كله .

وأما أنها ليست دائماً بالفعل ، وذلك بين فإنه لو كان كذلك لكان التعلم تذكراً (٤) ، ولكان التعلم غير مفتقر إلى الحس (٥) . ولكان إذا تقصنا حاسة

(١) فارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهرالي ص ١٨٠٨١ .

(٢) أيضاً ص ١٦٠٦٦ .

(٣) المخطوطة : بها .

(٤) أيضاً ص ٢٠٨٠ .

(٥) فارن ارسطو : De An. iii. 8. 432 a 6 ، « فلا يمكن لأحد أن يتعلم عند

عدم الحاسة » .

من الحواس لم ينقصنا علم من العلوم والأمر بخلاف ذلك^(١) . وإذن فلنكان
سيفتح لها العلم بوجود أشياء تستند الى المحسوس من غير أن يحسها حتى يكون
من لم يحس الثقل يقع له اليقين بأنه بجميع الصفات التي من شأن من أحسه
أن يقع له اليقين بها ، وهذا فيبين والتطويل فيه فضل ، وقد تلخص ذلك
في مواضع كثيرة .

وأما أنها دائماً بالقوة فذلك أيضاً محال لأنه^(٢) يحدث للانسان علوم إما
بالحس كما يوجد ذلك لأهل الصنائع العملية وإما بالتعلم .

< فيبين > (ورقة ١٦٤ ب) أنها تارة بالقوة وتارة بالفعل والخروج من
القوة إلى الفعل تغير ، فهناك مغير لأن كل متحرك فله محرك ، وقد تلخصنا
هذا فيما تقدم .

والقوة الناطقة هي التي بها يدرك الإنسان آخر مثله على ما هجس في نفسه^(٣) .
وهي^(٤) بالجملة إخبار أو سؤال أو أمر ، والسؤال فهو اقتضاء إخبار ،
والإخبار تعليم ، والسؤال تعلم . وهذه القوة هي التي بها يعلم الإنسان أو يتعلم .
وهذه الأقسام الثلاثة إنما تكون إذا كان الإنسان على الجري الطبيعي .
فالناطق بألفاظ يخطر بالوضع تلك المعاني التي تهجس في نفس الناطق بها .
والناطق في لسان العرب يدل عندهم أدلّ على التصويت بألفاظ دالة على معان .
ثم يستعمل على التصويت بالألفاظ وهذه غير دالة ولذلك قال الشاعر :

(١) فارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهراني ص ٩٠٧٩ .

(٢) المخطوطة : لا يحدث .

(٣) فارن ابن باجة : ورقة ١٣٥ الف : القوة المنخلة الموجودة في الانسان بالفعل

هي القوة التي يجدها الإنسان في نفسه يرسم فيها رسوم المحسوسات ويتصور بها
ويحضر للانسان فيها رسوم من المحسوسات متخيلة بمد غيبتها عن الحواس فيرى
الإنسان فيها صفة زيد وعمرو وصفة داره وذاته وغير ذلك من المحسوسات
المثار اليها .

(٤) المخطوطة : وهو .

« لم يمنع^(١) الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقال^(٢) »^(٣)

وقد يستعملون النطق على غير ذلك وقد أحصى ذلك أهل اللغة في لسانهم .
ولما كان ذلك انما^(٤) تكون هذه القوة آلة تقدمنا ورسمنا طاء ، كان فعلها
أولى بالنطق ، فنقل إليها المتفلسفون هذا الاسم ، ورسمنا القوة التي فيها القول .
وزيد أن نلخص ما هي وعمما هي ؟ فإن فخص المتقدمين إنما كان عن هذه
وهل هي مائية^(٥) أو غير مائية وليس بمسر على من أراد إحصاء الآراء التي
رأها من تقدم . فات جعلها مشهورة ولذلك نسقط فيما نحن بسبيله إحصاءها
والتفحص^(٦) عنها وتقتصر على ما يوجد ما يعلم الانسان من أمرها بالطبع .
فإن الآراء التي قيلت فيها لبست من هذا النحو بل إنما هي ظنون [أكثر منها
عند من قال بها أما بعض هذه ، وأما آراء مشهورة] ، فالفحص عن تلك
الآراء إما أن يوقف من أمرها على حال ما أو يقف بالإنسان على موضع غلط
القابل بها . وذلك نحو من أشياء الرياضة الجدلوية .

(١) المخطوطة : لم يطرب .

(٢) المخطوطة : أوراق .

(٣) هذا البيت من قصيدة لأبي نيس بن الأسلم وقيل :

ثم ارعويت وقد طال الوقوف بنا فيها فصرت الـ وجنـاء شمـالـ

تمطيك مشياً وارقالاً ودأدة اذا تسربت الآكام بالآل

تردى الإكام اذا صررت جنادها منها بصلب وقاح البطن اعمال

راجع الكتاب لسبويه (هارنويج ديرينبورج ، بيرس) ج ١ ، ص ٣٢٢ ،

لسان العرب لابن منظور (« النطق » حرف القاف ، ص ٢٣١) ، الحزاة

لبندادي ج ٢ ص ٤٤ ، ج ٣ ص ١٤٤ .

(٤) المخطوطة : انما .

(٥) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهرالي ، ص ٦٦ : « وانما انما

تمطل اصلاها في الصبا لأنها مفهورة بالرطوبة » ، وابن باجة : رسالة الاتصال

(المصدر نفسه) ، الأهرالي ص ١٥٧ : « وهل هي موجودة في الطفل

وغيرها الرطوبة أو تحدث بأخرة ؟ » .

(٦) المخطوطة : السمن .

فقول : إن من الأمور الظاهرة بأنفسها ان الإخبار والاستحالة إنما يكونان بقول جازم^(١) وقد تلخص في بارمينياس ما الأمر الجازم ، وانه مركب من محمول وموضوع . فبالضرورة يوجد في الإنسان فعلان : أحدهما وجود المعاني المفردة^(٢) والثاني تأليف هذين المميين . فالقوة التي يكون بها هذا التأليف هي القوة المفكرة وفعلها أنواع تأليف المعاني المفردة^(٣) ، وقد أحصيت في كتب المنطق والثاني القوة التي بها تحصل المعاني المفردة وهذه^(٤) كاهيولي (ورقة ١٦٥ الف) لتلك^(٥) فانه متى لم توجد المعاني المفردة لم يمكن أن يكون تركيب ، فهذه متقدمة لتلك بالطبع .

والمعاني المدلول عليها بالألفاظ على ما عدد في مواضع كثيرة ضربان^(٦) : كليات وأشخاص . فالقوة التي بها تدرك الأشخاص هي القوة التخيلية على ما تبين

(١) قارن ابن باجة ، ورقة ١٩٩ الف ص ١٠ : والقول التام اجناسه عند كثير من القدماء خمسة : جازم ونفزع ، وطلبة ونداء . لأنه قد يمكن ان يوجد بطريق آخر فيكون أكثر ، والنمى وما يجري مجراه جارٍ بجري الجازم لأنه لم يتغير فيه الجازم بل يقر على حاله زيادة .

(٢) المخطوطة : المفكرة .

(٣) قارن ابن باجة : ورقة ١٣٥ الف : وكذلك وجود القوة الناطقة يجدها الانسان في نفسه ويعلمها علماً يقيناً لا يشك فيه بشيء من التثبت وذلك انا نجد في أنفسنا ما يتميز به ويفصل عن ماير الحيوان المنندي الحساس : فان الانسان يجد في نفسه معلومات يحتوي على ميز الجميل والقيح والناعم والضار . . . ويميزها . ويجد في نفسه اموراً يرى صدقها لا يشك فيه وأموراً على ما هي خان ، وأموراً هي كذب لا يجوز في الوجود ، كل هذه المعلومات يجدها الانسان في نفسه . وهذه المعاني المألومة في النفس تسمى نطقاً ، وما يوجد في الانسان يسمى نطقاً .

(٤) وفي المخطوطة زيادة : لم يمكن أن يكون تركيب .

(٥) المخطوطة : لتلك .

(٦) قارن ابن رشد : تلخيص ، الأهواني ص ١٠٠٦٧ ، حيدرآباد ص ١٣٠٦٢

قبل هذا . وأما الكليات فهي ^(١) لقوة أخرى ^(٢) وبين أنها ليست للحسن .
 وإن الحسن لا يدرك < إلا > الأشخاص . والكليات معانٍ أخرى . لأن
 السكي معنى واحد من ساير < ما يقال > أن يوجد لكثيرين وليس لشخصين
 كذلك . ولأن كل قضية ، لها أن تكون مؤلفة من شخصين ، فهي قليلة
 الاستعمال . وسنقول فيما بعد . وأما التي من شخص وكلي فهي ^(٣) توجد كثيراً
 في الكهن ^(٤) وفي الخطابة والشعر . وأما التي من كيتين فهي تعم جميع الصنائع
 وهي التي تسمى علوماً على الإطلاق وعلى التقديم ، فإذن ماله مثل هذا المبدأ
 يكون ناطقاً : < لو > بالقوة ، وعلى هذه يقال للإنسان .

وهذه الكليات هي معانٍ معقولة . وإنما تصير كليات ^(٥) باضافتها إلى الأشخاص
 الموضوع لها وكذلك معنى الشمس والقمر . وبالجملة فماله شخص واحد هي معانٍ
 معقولة وليست بكليات إلا على طريق التشبيه ويقال لهذا كليات بالتأخير .
 وهذه المعقولات إما أن تكون أزلية أو حادثة .

إلى هنا انتهى الموجود من قوله رحمه الله < تعالى > .

*
* *

(١) المخطوطة : فهو .

(٢) ابن رشد ، ص ١٠٦٨ ، حيدوا باد ص ١٥٠٦٣ .

(٣) المخطوطة : فهو .

(٤) أيضاً : في الكهن .

(٥) ابن رشد ، ص ١٩٠٨٠ ، حيدرا باد ص ٦٠٧٧ .

المصادر

- ابو ريذة ، مصطفى عبد الهادي : رسائل الكندي
 اهل ورت (Ahlwardt, W.) Verzeichniss Der Arabischen Handschriften:
 Der Konglichen Bibliothek Zu Berlin. vierter Band VII
 und VIII Buch, Berlin. 1892.
- الأهواني ، أحمد محمود : تلخيص كتاب النفس لأبي الوليد ابن رشد ،
 وأربع رسائل ، ١٩٥٠ :
- (١) رسالة الاتصال لابن الصائغ ، (٢) كتاب النفس لاسحق بن حنين
 (٣) رسالة الاتصال لابن رشد ، (٤) رسالة العقل ليعقوب الكندي
 الأندلس ، Granad - Madrid : انظر « أسين بلاسيوز »
- أرسطاطاليس : ترجمة كتبه بالانكليزية ، نشر و ، د ، رامس (W. D. Ross)
 رسالة ارسطاطاليس في النفس : نشر الدكتور صغير حسن المعصومي ،
 في مجموعة ارمغان علمي ، لاهور
- رسالة در نفس منسوب بارسطاطاليس : مخطوطة بودليانا ، رقم
 Ousl. 92
- (1) Tratado de Avempace Sobre la : (M. Asin بلاسيوز
 Palacios) union del intelecto con el hombre.
 Al Andalus vol. 7. 1942, 1 - ٤7.
- رسالة اتصال العقل بالانسان لابن باجه .
- (2) La - Carla de Adios - de Avempace, Al
 Andalus, vol. 8. 1943, 1 - 87.
- رسالة ، الوداع لابن باجه .

كتاب النبات ، الأندلس ج ٥ ، ١٩٤٠
 (3) Al-Andalus. vol. 5. 1940. 266 — 278

تدبير المتوحد لابن باجة ،

كتاب الخدائق لابن سيد البطليوسي الأندلسي ،

Al-Andalus. vol. 5. 1940. 63 — 98

انسائيكلويديا اف اسلام (دائرة المعارف الإسلامية) :

The Encyclopaedia of Islam.

ed. Houtsma, Arnold et others Leyden. 1913. 1

voll. ١ Suppl.

ابن باجة : مخطوطة بودليانا ، رقم Pocock 206 ، وانظر « آسين بلاسيوز »

ابن خلدون : التاريخ ، ج ١ بولاق .

ابن خلكان : وفيات الأعيان .

ابن النديم : كتاب الفهرست ، نشر فونجل (Flügel) ، ليبسك ، ١٨٧١ م .

ابن الفطحي : تاريخ الحكماء ، نشر ج. ليبيرت (J. Lippert) ، ليبسك ، ١٩٠٣ م .

ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، نشر الاهواني .

رسائل ابن رشد ، حيدرآباد ، ١٩٤٦ م .

تفسير ما بعد الطبيعة ، نشر بونيج (Bouyges) ، ٣ أجزاء .

كتاب الكليات ،

Artes Graficas Bosca. Larache. Marruecos. 1939

ابن السيد البطليوسي : كتاب الخدائق ، انظر « آسين بلاسيوز »

ابن سينا : كتاب الشفاء ، مخطوطة بودليانا ، رقم Pocock 125 .

تعليقات كتاب النفس ، نشر عبد الرحمن بدوي ، ارسطو عند العرب .

ابن طفيل : حي ابن يقظان ، نشر جوثيه (Gauthier) .

ترجمته بالانكليزية من قلم سائمن اوكل (Simon Ockley) ،

نشر Edward A. Van Dyck ، القاهرة ، ١٩٠٥ م .

اوكلبي (Ockley) : Philosophus Autodidactus أو حي بن يقظان ،
انظر « ابن طفيل » .

بدوي ، عبد الرحمن : ارسطو عند العرب .

برجستراسر (Bergstrasser) : Geleni in Hippocratis De Septimanis

بوئيج (Bouyges) : انظر « ابن رشد » و « الفارابي » .

براكمان (Bockelmann, C.) . (جزءان) Geschichte der Arabischen

Literatur

Supplementland (ثلاثة أجزاء)

بوكاك (Pocock, E.) : Philosophus Antodidactus. Elenchos Scriptorum

جالينوس (Galen) : انظر « برجستراسر » و « كراؤس - والسر »

جوتيه (Gauthier, L.) : Roman philosophique d'Ibn Tufayl. text et

traduction, Beyrouth. 1936.

جواشون (Goichon, A. M.) : Lexique de la langue philosophique

d'Ibn Sina, Paris. 1938.

Vocabulaires compares d'Aristote et d'Ibn Sina.

Supplement au Lexique de la langue philosophique.

جوت (Gowett, B.) : محاورات أفلاطون ، خمسة أجزاء

Dialogues of Plato, English, 5 vols.

ج راس (J R A S) : Journal of the Royal Asiatic Society. London

ديتريشي (Dieterici, F.) : Al-Farabi's philosophische Abhandlungen ,

Leiden 1890.

دنلوب (Dunlops, D. M.) : تدبير المتوحد لابن باجه : GRAS. 1915, 61—81

راس (Ross W.) : انظر « ارسطاطاليس » .

رانيث (Wright) : Arabic Grammar (Engl.) 2 vols

زيلر (Zeller, E.) : Aristotle and Early Peripatetics Englishs by

Contelloc and Muirhead, 2 vols.

سارطن (Sarton, G.) : Introduction to the History of Science. 2 vols in 3 parts, Baltimore, 1927 — 31.

- سبرينغر (Sprenger) انظر « علي التهانوي » .
 علي التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ، نشر سبرينغر ، كلكتة .
 فضل الرحمن : Avicenna's Psychology ، اكسفورد .
 فضل امام خيرابادي : الهدية السعيدية ، الهند .
 الفارابي ، ابونصر محمد بن طرخان : فصول المديني ، مخطوطة بودليانا ، رقم 307 Hunt .
 فصوص الحكم ، نشر ديتريشي .
 احصاء العلوم ، ميدرد ، ١٩٣٢ م .
 مسائل متفرقة ، حيدرآباد .
 المدينة الفاضلة ، نشر ديتريشي .
 السياسة المدنية ، حيدرآباد .

فلوجل (Flügel, G.) : انظر « ابن النديم » .

الكندي : انظر « ابوريد » .

كراؤس (Kraus — Walzer) : Galenic Compendium Tinaci Platonis : London, 1951.

لين (Lane, E) : Arabic · English Lexicon

مكتنا (Makkenna) : ترجمة نواميس . Plotinus. Enneads, 4 vols.

المقري ، أحمد : نفع الضيب ، أربعة أجزاء .

مولر (Muller, A) : عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ،

كونكسبرك وقاهرة .

والسر (Walzer) : انظر « كراؤس » .

محمد صغير حسن المصري

www.alukah.net

البنيس

والفاظ أخرى

في سنة ١٩٢٢ نشرت كتاب المنتخب من شعر ابن زاكور ، وهو منتخب عملته من ديوان هذا الشاعر الرقيق المسمى بالروض الأريض في بدبع التوشيح ومنتقى القريض والذي لا يزال مخطوطاً . وقد قدّمت له بمقدمة عرفت فيها بابن زاكور وأدبه ، وبينت لماذا عملت هذا المنتخب من شعره ولم أنشر ديوانه كله . كما بينت طريفته في الاختيار والترتيب ، وعنوان القصائد وضبط الأرقام كلها بالشكل وفسرت الألفاظ الغريبة التي توقفت فيها أو قدّرت أن القارئ قد يتوقف فيها وعمدت له فهرساً على المواضيع وآخر على الحروف . وذلك غاية ما أمكنتني عمله إذ ذاك في خدمة هذا الشاعر وتقديمه للناشئة المغربية والأدباء على العموم في بلادنا العربية .

واعترافاً بالحق أقول أنني لما مررت بقول الشاعر في أحد موشحاته :

بنت كرم حبيت كرمها	لائي بلقيس
وصقاها فببت نضرتها	ارسطاطاليس
خلتها لما غشت صورتها	في حشا (البنيس)
زجل الرهبان يوم المهرجان	في حسي عبدون
أوفوادي اذا علاه الخققان	فهو كالجنون

وقفت طويلاً عند هذا البنيس إذ لم أعرف مدلوله ، وراجعت ما بيدي من كتب اللغة فلم أجد له ذكراً ، بل راجعت كتباً أخرى حسبتها مظنة لذكره

كحلمة الكعبيت وخاصة هذا الباب الذي عقده النواجي لوصف ما يشتمل عليه مجلس الأندلس من أواني الشراب وكسات وطاسات وبواضي وظروف وراووق وقناني وأباريق وغير ذلك ، كما استعرضت باب الخمريات في ديوان أبي نواس ، ومجموع الأغاني والألحان الذي يجمع الأشعار المستعملة في نوبات الموسيقى الأندلسية أي أدواها الأربعة عشر ، نشر ادمون يانيل وهو يشتمل على قصائد وموشحات ومقطوعات غنائية كثيرة ، فلم أعتبر في كل ذلك على لفظه البنيس المطبوقة مع العلي بأن ابن زاكور إنما يخذو خذو شعراء الأندلس والشاهدين منهم بالخصوص في موشحه هذا وغيره .

وكان هذا البحث ارضاء لحب الاطلاع فقط وإلا فإن معاني الشعر لم تكن خافية . وقد تركت اللفظة على ما هي عليه ونسيت البحث عنها فيما بعد . ثم وقفت في دقة بعض المخطوطات على ما يلي :

« من رحلة ابن رُشَيْد » : أنشدني ابن حبان ، أنشدني أبو عبد الله بن حنيفة ،
 أنشدني أبو الحجاج يوسف بن حكم لنفسه ، وقد رغبت منه في شيء من المداد :
 جاءتك تشكو بالظما ، إذ لم تجد رباً ، وقد سقيتها تدريجاً
 وصالت (بنيس المداد) فقال لي من أين لي أن أملاً الصهرجياً
 ورأيت أن الود ليس بخالص إن كان ما أنقى به مزوجاً »

وأظن أن امم ابن حبان هنا محرف عن أبي حبان ، وهو الخوي الأندلسي المشهور ، لقيه ابن رُشَيْد صاحب الرحلة المنقول منها هذا الإشاد في سفر الاسكندرية عند إبابه . وقد رجعت الى مخطوطة الاسكوريال الوحيدة من هذه الرحلة للتحقق من هذه الأبيات فلم أجدها فيما أنشده أبو حبان ابن رُشَيْد من شعره أو شعر غيره في الجزء الخامس منها ، ولا في غيره من الأجزاء الخمسة الموجودة في مكتبة الاسكوريال ، فلملها كانت في الجزء المفقود من هذه الرحلة .

والمقصود من هذا كله أن لفظة البنيس وردت في هذه الآيات مضافة الى المداد ، فتفيد أنها وعاء يستعمل للخمر وغيرها .

وفيما كنت أتذاكر قبل بضع سنوات مع الصديق المرحوم قاضي طنجة سابقاً السيد محمد بن رحون ، أشدني عفواً هذا البيت للشبيخ المشرفي :

وما البنيس إلا إناء خمر وبالتحقيق قد وجب انكساره

فذاقت منه هذا البيت بلهفة ، إذ حدد فيه معنى البنيس وشرحه شرحاً لغوياً موجماً كما لو كان يعرف ما في نفسي من أمر هذه اللفظة فشق غلي وأزال حيرتي . على أن البيت لم يقصد لشرح المعنى اللغوي لكلمة البنيس وإنما هو هجاء لشخص من أولاد بنيس ، وهم أسرة مغربية معروفة اشتهرت بهذا الاسم وأصلها من مدينة فاس . فاغتنم قائلاً هذا الاشتراك اللفظي بين اسمه وبين البنيس بمعنى إناء الخمر فورتى به وحكم حكماً شرعياً بوجوب كسره فبلغ قصده من الهجاء وأفادنا رحمه الله ^(١) هذه الفائدة الجليلة .

وفي هذه الأيام بينما كنت أطلع كتاب المدارك للقاضي عياض ، نسخة خطية خاصة ، إذ وقفت في ترجمته للقاضي أحمد بن بقي بن مخلد على هذه الحكاية : « وذكر أنه كان في مجلس نظره ، وقد غص بالفقهاء والمدول والخصم ، حتى دخل عليه الممتوه المعروف بابن شمس الضحى ، وكان من ذوي البيوتات والثروة . فقال يا قاضي المسلمين أريد أن تأمر وكييل فلان ^(٢) يزرع لي بقربتي

(١) الشيخ محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي صاحب البيت المذكور من علماء المغرب في الثلث الأول من هذا القرن ، اشتهر بكتابه الدر المكنون في ترجمة الشيخ محمد كنون وهو مطبوع على الحجر بفاس وبكتابه اظهار المفقود في منع التوسل بالنهي والولي الصدوق ، طبع بمصر . وكان يتماطى الأدب وولي القضاء بفاس الجديدة مدة .

(٢) كذا بالأصل ولعلها وكييل فلاناً .

(بنانيس) فتنبت لي خواني فأحصل على ربحي . فما بقي أحد في المجلس إلا ضحك
سوى القاضي ، فانه وجم واستمبر وقال : يا بني : لقد ظلمك من ألقى هذا على
لسانك . ثم قال لأهل مجلسه : وأسفا على سخريتكم وضحككم منه . انا لله
وانا اليه راجعون على قلة التحصيل وعزوب العقول . فان البكاء على هذا أولى
وأبقى ، فما بيننا وبين زوال العافية إلا الدهول عن شكرها . اللهم اسدل
علينا سترها ^(١) واحفظ عقولنا لمعرفةك ، وارزقنا ذرية طيبة سالحة زكية تقرر
أعيننا بها . فاستحي من حضر .

فاستفدت منها زيادة على مفرها الخلق الذي أشار له القاضي ابن مخلد ولاجله
أورد الحكاية ، أن البنيس انا من فخار ولذلك جملة المعنوه صاحب الحكاية
بيرة للخاية . والخاوية من الفخار معروفة ، كما استفدت أنهم كانوا يجمعونه على
بنانيس ولم يبق حينئذ حول هذه اللفظة أدنى شيء من الإبهام . فهي تطلق
على إناء صفيير يصنع من الفخار كالجرّة والحبّ والخاوية ، وبغلب استعماله للخمر
وان كان قد يستعمل لغيرها من المائعات كالمداد على ما رأيت . وكانت هذه
اللفظة من الدارج على السنة أهل الأندلس ولا نعرف ما إذا كان أصلها اسبانياً ،
على أننا بحثنا عنها فيما عندنا من المعاجم الاسبانية فلم نجدها . أما في المغرب فلم
تجر الا على السنة أهل الأدب مما يدل على اقتباسها من الأسمار الأندلسية .
وبخلاف البنيس ، لفظ الشرجب وجمعه شراجب ، وقد يقولون شرجم بالميم
كما يقولون في رجب رجم ، وهي لفة ، فهذا اللفظ مما يجري على السنة هنا
في المغرب كثيراً كما كان جارياً على السنة أهل الأندلس وربما ورد في أشعارهم .
وهو يعني ما يسمى الآن في هندسة المباني بالنافذة Le guichet, La fenêtre
وفي نظري هو أدل منها على المعنى المراد فان النافذة أعم من الشرجب والطاقة

(١) لعل الصواب مشترك .

والكوة وحتى الباب وغيرها مما يقع منه النفوذ ، ولولا أن الاستعمال خصصها حديثاً بما ذكر لما فهم المراد منها . وذكري للطاقة هنا إنما هو باعتبار الاستعمال المغربي لها في معنى النافذة ، وربما كان استعمالاً أنداسياً أيضاً وهم يجمعونها على طيقان وطاقات . ومعلوم أن مدلول الطاق وجمعه الطيقان في اللغة ، هو ما عُقد من الأبنية باباً أو نافذة أو غيرهما فاملهم بعد ما استعملوه في النافذة خصوه بها ثم أنشوه بآثاء وان اشتهر بالطاقة بمعنى القُدرة لكن السياق يُعَيِّنُه . ومع هذا يبقى لفظ الشرجب متمكناً في معناه الذي يدل على الإِنافذة والسعة ويستصحب أيضاً الدلالة على ضخامة البناء وأناقته ، ولا كذلك دلالة الطاقة في العرف المغربي فأحرى الكوة . .

وجاء في نفح الطيب تعريف للشرجب يكتنفه بعض الإيهام فرجما ظهر غير منسجم مع ما ذكرنا من أن معناه هو النافذة . وذلك في الجزء الثاني في ترجمة أبي جعفر بن سعيد ، أثناء حكاية وقعت له مع بعض المُجَّان وهو في نزهة بنهر اشبيلية . . ونص المقصود منها : « ولما وصل صحبة والده الى اشبيلية افتتن بواديها ، واعتكف على الخلعة فيها ، مصعداً ومنحدراً بين بساينته ومنازحه . فمر ليلة بطريانة ، فمال نحو منزله فيه طرب سمعه فاستوقفه هنالك . وهو في الزورق متكئ ، وأصحابه وأصحاب أبيه مظهرون انخطاطهم عنه في المرتبة . فأخرج رأسه أحد الأندال المعتادين بالنادر من (شرجب) والشرجب هو الدرايزين من خشب فيه طاقات . . وطريانة مقابلة اشبيلية وبها المنازه والأبنية الحسنة . . الخ » فتنسيبه للشرجب بالدرايزين غير متوافق مع المعنى الذي ذكرناه له ، ولكن بعض الايضاح يتطابق التفسير والمقنى المذكور ولا يبقى بينهما خلاف .

فابن سعيد الذي كان في نزهة على متن الوادي الكبير وبشاطته الذي يلي قسبي طريانة خاصة ، لا سمح الطرب توقف تحت المنزه الذي كان يوجد فيه

المطربون ، « والمتره في المتعارف مكان مرتفع كالعليّة يُشرف على البحر أو على الغلاء ونحوهما من المناظر الطبيعية الجميلة » فأخرج أحد الأندال رأسه من شرجب في المتره وجعل يتعاطى مع ابن سعيد فحش القول كما يفيدده آخر الحكاية ، فالهمم أنه أطل عليه من شرجب بل أخرج رأسه منه ولا يكون ذلك إلا من نافذة . . . ولما كانت هذه النافذة ذات شبّاك يتنعم معه برونز الرأس حينما يطل الإنسان منه ، وقال ان فيه طاقات ، والطاقة هنا بالمعنى المستعمل عند المغاربة على حسب ما أضربنا اليه آنفاً أي النافذة . فيخرج من ذلك أن الشرجب نافذة رُكِّب عليها شبّاك فد يكون بحيث يصح اخراج الرأس منه والنظر الى الخارج بالأحرى . في عبارة النفع اختصار ، وهو الحذف من غير دليل أو اختصار وهو الحذف مع الدليل لتعلم من السياق .

والواقع اننا كذلك نستعمل لفظ الشرجب في النافذة ذات الشباك ، ويكون من حديد كما يكون من خشب . ولكن ذلك ليس بلازم إذ قد يكون الشرجب خالياً من الشباك بل هو الأكثر .

ومن لطيف الأدب الوارد في الشباك قول عبد المومن بن علي أول خليفة للموحدين وكان هو ووزيره أبو جعفر بن عطية مارين ببعض طرق مراكش فأطالت عليهما

جارية بدبهة الجمال من شباك فقال : قدت فؤادي^(١) من الشباك إذ نظرت

فأجاز وزيره أبو جعفر : حورا ترنو الى العشاق بالقل

ثم قال عبد المومن : كأننا لحظها في قلب عاشقها

وأجاز أبو جعفر : سيف المؤيد عبد المومن بن علي

ومما ورد في الشرجب من جميل الشعر قول المتمدن بن عباد ، يخاطب الوزير

ابن عمار :

(١) كذا ، ولعل (قاي) بدل فؤادي ليستقيم الوزن . (لجنة المجلة)

الا حيّ أوطاني بشبّ ، أبابكر وصلين هل عهد الوصال كما أدري
 وصلم على (قصر الشراحيب) من فتى له أبدأ شوق إلى ذلك القصر
 قال الفتح في القلائد عقب هذين البيتين : « وقصر الشراحيب هذا متناه
 في البراء والاشراق ، مباح لزوراء المراق ركضت فيه جياذ باحاته ، وأومضت
 بروق أمانيه في ساحاته ، وجرى الدهر مطيعاً بين بكره وروحاته ، أيام
 لم تحلّ عنه قمامه ، ولا خلت من أزاهر الشباب كئمه الخ » .

ولفظ آخر هو الزليج بكسر اللام مع تشديدها وبمعنى الفسيفساء والقاشاني ،
 هذين اللفظين اللذين يستعملان في الشرق العربي ولا نعرفهما في المغرب .
 والأول لبس بعربي والثاني لعله منسوب إلى قاشان لصنعه فيها . أما لفظنا فله
 أصل في المادة اللغوية (زليج) ولعله أخذ منها . وفي القاموس : « والزليج بضمتين
 الصخور المأدس » والمهم أن هذه الصنعة الدقيقة قديمة في المغرب والأندلس ،
 ولا تزال حية ونشيطة فيه ، ولا اسم لها عندنا إلا الزليج ، ويقال لصاحبها
 الزلايجي وجمعه الزلايجية ، ويستعمل منها فعل زليج الرباعي المضعف وتصاريفه ،
 فهل آن الأوان لتأخذ هذه الكلمة طريقها إلى المعجم العربي وتحل فيه محل الفسيفساء
 والقاشاني^(١) أو تقوم إلى جانبها على الأقل اسماً لهذا النوع المغربي الممتاز من
 مدلول نبتك الكيتين ؟ . .

وما ورد فيه كلمة الزليج نثراً هذه الفقرة من وصف الافراني لقصر (البديع)
 الذي بناه المنصور الذهبي في مدينة صراكش بين سنتي ٩٩٦ هـ - ١٠٠٢ هـ
 وذلك في كتابه نزهة الحادي ، ص ٩٤ طبع فاس ونصها : « وفيه من الرخام
 المجرّع والمرص الأبيض المفضّض والأسود ، وكل رخامة طلي رأسها بالذهب

(١) الفسيفساء غير القاشاني ، وكلمة زليج تنطبق على القاشاني الشرقي وحده وهي
 خليفة بدخول مصاجنا العربية .
 (لجنة المجلة)

الدائب ، وموّه بالنضار الصافي ، وفُرشت أرضه بالرخام العجيب النحت الصافي
البشرة ، وجُمِل في أضاف ذلك (الزليج) المتنوع التلوين حتى كأنه خمائل
الزهر ، أو يرد موسى من عمل صنعاؤه أو 'نستُر' ، وفقرة أخرى من نفس
الصفحة في وصف الكتابة والنقوش التي كانت على جدران القصر وسنوره وهي
هذه : « وفيه من الأسماء المرقومة في الأستار والأبيات المنقوشة في الخشب
(والزليج) والحبس ما يسر الناظر ويروق المتأمل ويبهج العقول » ونقل الناصري
في الاستقصاء نفس العبارات وأصلها للكاتب القشتالي في تاريخه : مناهل الصفا .
أما في النسر فقد جاء لفظ الزليج في عدة قصائد وأبيات ، ونختار منها
المقطعة الآتية للأديب ادريس بن علي السّتاني التي قالها في وصف روض لأحد
الأكابر بفاس وهي تُنشر لأول مرة :

روضٌ يروق الناظرين بهيجٌ	سيان فيه الزهر والزليجُ
فكلاهما في بهجة وتنوعٍ	يحيي النفوس بحسنه وبهيج
إن جنته تبغي انتشاق أريجِهِ	وأفانك دون الباب منه أريجُ
قد عربدت أشجاره بمدامةٍ	شبه اللجين بديرها الصهريجُ
والطير تشدر في الفصون بنفحةٍ	في شدوها التفريج والتفريجُ
فلنا به عند الصباح مسرةٌ	والفصن غصن والخليج خلجُ
أبقاه ربي زاهراً في نصرةٍ	مايم الحرم الشريف حجيج

ونسجل هنا ورود كلمة (الصهريج) في هذه القطعة والأبيات الثلاثة السابقة
التي ورد فيها ذكر البنيس ، ملاحظين كثرة استعمالها في المغرب ودورانها على
السنة العموم وتسمية أحواض مائة شهيرة بها كصهريج المنارة براكش الذي
بناه عبد المؤمن الموحدي وكان يبرن فيه الجنود على العموم والتجديف ، وكدرسة
الصهريج بفاس وغيرهما ، في حين أننا قلما نعتد على استعمالها في الآثار الأدبية
الشرقية ، وفي الكتابات الوصفية التي يجررها أدباء الشرق ماعدا أثر واحد

هو كتاب صهاريج اللؤلؤ للسيد توفيق البكري فهو الوحيد الذي استعمل هذه الكلمة من الكتاب الشرقيين فيما عدا .

وما دمت قد ذكرت هذين اللفظين أو المصطلحين المستعملين في البناء وما إليه وهما الشرجب والزليج فيجوز لي أن أشير هنا إلى أني قرأت في كتاب المؤثر الأول للمجامع اللغوية العلمية المنمقد في دمشق سنة ١٩٥٦ نشر الإدارة الثقافية التابعة للجامعة العربية بحثاً قيمياً للدكتور مصطفى جواد في وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها ، وبما جاء فيه عند الكلام على مصطلحات البناء نقله عن أساس البلاغة كلمة الحضرة للمصطلح المسمى بالفرنسية matériaux أي مواد البناء من أجر وجير وغيرهما ملاحظاً أن الجامع العربية لم تضع له مقابلاً ، ونقله للمصطلح المذكور عن الزنجشري في محله ، وإنما أريد أن أقول أننا هنا في المغرب نستعمل في هذا المعنى كلمة الأتقاض فتأتي في ألفاظ المؤثقتين وحسابات المقاولين وهي كلمة لا غبار عليها لأنها تسمية للشيء بما يؤول إليه على طريقة الحجاز المرسل^(١) كقوله تعالى «إني أراني أعصر خمراً» في تسمية العصير .

وفي هذا البحث العظيم الفائدة استشهد صاحبه الدكتور جواد على استعمال استلم بمعنى تسلّم بنص لابن بدرون في شرحه لقصيدة ابن عبدون الشهيرة قائلاً : «فهو مستعمل عند أدباء الأندلس منذ المائة السادسة من الهجرة في أقل اعتبار» وأضيف إلى هذا الشاهد شاهداً آخر يدل على أن أدباء المشرق قد عرفوا هذا المعنى لفعل استلم واستعملوه في تاريخ قريب لتاريخ ابن بدرون وهو قول البوصيري في قصيدته المعروفة بالبرودة :

ما سامني الدهر ضيقاً واستجرت به الأ ونكُ جواراً منه لم يُضم
ولا التحتُ غنى الدارين من يده الا (استلمتُ) الندى من خير (مُستلم)

(١) المرر بجاز الأول .

كذلك في الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين من مجلتي هذه قرأت للدكتور حسني صبح في مقاله الممنون بنظرة في معجم المصطلحات الطبية ما علق به على كلمة سلابة التي وضعها المعجم المذكور نكلمة Abats الافرنجية وفسرها بمفاضة الأُحشاء ، واني بعد اعلان إعجابي بتحقيق الدكتور صبح وتدقيقه في مطابقة الألفاظ لمانيا المرادة ، أذكر أن هذا المصطلح يستعمل له في المغرب لفظ السقط ويقال لبائمه السقاط ولمكان يبعه السقاطين ، وأظن أنهم في الأندلس كانوا يستعملونه أيضاً لهذا المعنى . وكل من زار غرناطة فلا بد انه سر على المكان المعروف بالسقاطين الى يومنا هذا وهو مكان ضيق يشتمل على دكاكين صغيرة متقابلة مما يكون عليه وضع دكاكين الجزيرة ، وان كان في الوقت الراهن يباع فيه بضائع تجارة منوعة . وكلمة (سقط) في اللغة تطلق على الولد لغير تمام كما أنها بالفتح تطلق على رديء المتاع وكلا الدالتين قريب مما نطقها عليه من حشا الحيوان المأكول (الذي يشمل الكوارع والكبد والطحال والدماغ والقلب والرئة فضلاً عن الكرش والمصارين خلا الأهاب . والواقع أن نطق الكلمة عند العموم يختلف باختلاف الجهات ، ففي فاس مثلاً يقولون السقط بسكوت القاف ، وفي طنجة يقولون السقط بفتحها مع تسكين السين في النطقين مما على عادة العامة في الإبتداء بالساكن خلافاً للقاعدة العربية . ومما يكن الأمر فان الاستعمال القائم للكلمة لا يقع على رديء المتاع بل على حشا الحيوان ، فهل يصح لي أن أقترح الكلمة للمصطلح المذكور لاسيما والدكتور صبح ترك المكان فارغاً فلم يأت بمقترح جديد بعد فقد مصطلح المعجم ؟

عبد الله كنون

التعريف والنقد

محاضرات عن القومية العربية

(تاريخها وقوامها ومراميها)

ألقاها الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي على طلاب معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة سنة ١٩٥٨ / ١٩٥٩ وهي تقع في ٣٦٤ ص من القطع الوسط

ألقى رئيس مجتمنا الأمير مصطفى الشهابي سلسلة من المحاضرات على طلاب معهد الدراسات العربية العالية ضمنها آراءه « في كنه عقيدتنا القومية » وتاريخها الحديث ، والعوامل المكونة لها ، والأهداف التي ترمي إليها ، والفلسفة المثالية التي تجدد أغراضها ، وعلاقتها بالقوميات السائرة وبال بشرية جميعاً » (١) .
فجاءت محاضراته هذه متممة لما كتبه الأستاذة ساطع الحصري وعزة دروزة وأمين سعيد ، وعلال الفامي وغيرهم عن نشوء الفكرة القومية ، والحركة العربية الحديثة ، والثورة العربية الكبرى والحركات الاستقلالية العربية .
وأحسن ما تتميز به هذه المحاضرات دقة البحث الموضوعي ، ورصانة الأسلوب العلمي وجمال التعبير الأدبي ونظم عناصر الموضوع في سلك واحد يجمع بين التعقيب التاريخي والتعليل الفلسفي .
أما دقة البحث الموضوعي فتظهر في كلام المؤلف على الحركات القومية السربية والعننية ، وفي حديثه عن العرب والعروبة في القديم والحديث ، وفي وصفه ليقظة

(١) من مقدمة الكتاب .

الأقطار العربية ونضالها في سبيل التحرر ، وفي كلامه على أثر اللفة والدين والاقتصاد والتربية والثقافة وغيرها في نشوء القومية العربية الحديثة وفي كشفه النقاب عن المراحل التي اجتزناها في الماضي والاتجاهات التي تتوزعنا في الحاضر .
وأما رصانة الأسلوب العلمي فتظهر في وصف المؤلف حوادث زمانه وصفاً موضوعياً دقيقاً ووقوفه منها موقف العالم المدقق الذي ينظر الى الأشياء نظرة خالية من الهوى ، لا بل نظرة علمية تكشف عن كنه الأمور ومراميتها القريبة والبعيدة .

وأما جمال التعبير الأدبي فيظهر في الأسلوب السهل الممتنع الذي اختاره المؤلف للإفصاح عن رأيه فلا يوقع ألفاظه إلا في مواقع الحقيقة ولا يكتمك إلا بكلام مرسل سمح يستهوي عقلك ويأخذ بجماع قلبك لارتباطه بقوة المنطق ولتأديته المعنى الجميل في القالب الجميل .

لقد أتبع المؤلف أن يرى بنفسه كثيراً من الحوادث وأن يتصل بحكم عمله بكثير من رجال السياسة في سورية ومصر والعراق وغيرها ، وأن يبقى مع ذلك مستقلاً عن التيارات السريضة التي كانت تجرف المدفعين فيها وتخرمهم دقة الملاحظة وهدوء التفكير وتماصك العاطفة فنياً له ذلك أسباب الاطلاع على خفايا الأمور والحكم عليها حكماً صادقاً ، فلم يفصل القول في ناحية واحدة بعينها كما فعل بعض الكتاب قبله بل اقتصر منها على القدر اللازم للفرض الذي يرمى اليه ، وهو ربط نتائج الأحداث بعضها ببعض لاستخراج المقومات الأساسية لعقيدتنا القومية .

وانه لبسرنا أن نلتقي وصدقنا الأمير الشهابي على صعيد واحد ، فنحن نرى معه أن للعقيدة القومية من حيث هي فكرة مثالية أساسين الأول هو

التصور والايان بأن الشعوب العربية في جميع أقطارها أمة عربية واحدة وبأن أوطان تلك الشعوب أجزاء من وطن كبير واحد هو وطن الأمة العربية ، والثاني ارادة السعي لتحقيق الأهداف السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية لهذه الأمة .

وفي رأيه أن البواعث العملية لتحقيق هذه الفكرة المثالية تملخص بالأمور التالية وهي :

- (١) الاشتراك في اللغة العربية الفصحى .
 - (٢) الاشتراك في التاريخ .
 - (٣) الاشتراك في المصالح السياسية والاقتصادية في الحاضر والمستقبل .
- فالقومية العربية لا تقوم في نظره على عامل المنصرية ولا على عامل الدين بل العربي من تكلم بالعربية وأراد أن يكون عربياً مهما يكن دينه ، ومهما تكن السلالة البشرية التي ينتمي إليها . والمؤلف يتكلم على الوسائل المؤدية الى تحقيق فكرة القومية كالاتقلال ومكافحة الاستعمار ، والوحدة العربية ، وإقامة الحكم على أساس ديمقراطي برلماني ، والاشتراكية التعاونية ، ورفع مستوى الشعب خلفياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً ، واحترام القوميات التي تحترم القومية العربية ، ومشاركة العالم المتقدم في تقدم البشر روحياً وعقلياً ، وتجنب مصائب الحروب باتباع سياسة الطياد الايجابي والتعايش السلمي .
- يتضح من ذلك كله أن الوسائل التي أشار اليها المؤلف هي الوسائل التي أخذت بها الجمهورية العربية المتحدة لتحقيق فكرة القومية فليس في استقصاء هذه الوسائل إذن شيء جديد ، ولكن الجديد الذي ضمه المؤلف الى استقصائه هو ربطه وسائل التحقيق بفكرة فلسفية عامة مبنية على دقة الملاحظة وصدق

المشاهدة وهو يلخص هذه الفكرة الفلسفية بقوله : ليست القومية العربية فلسفة قومية ضيقة ولا مذهباً اجتماعياً محدوداً قوامه الأثرة أو التمهصب أو البغضاء ، بل هي فلسفة اجتماعية مثالية بناءة تقدمية تدعو كل عربي الى محبة أمته العربية ووطنه العربي ، والى الاعتزاز بماضي هذه الأمة والى العمل التقدمي لحاضرها ومستقبلها كما تدعو الى محبة الإنسانية والى خير البشرية والى حق كل شعب في تقرير مصيره (راجع مقالنا عن الاتجاه القومي في التربية العربية في مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٣٣ الجزء ٣ صفحة ٢٣٨) .

وخلاصة القول ان كتاب القومية العربية سفر جليل بصق تحليله ودقة بحثه ورصانة أسلوبه وفائدته ووضوح أهدافه . أهده المؤلف الى أخيه الأمير عارف الشهابي الذي وقف حياته القصيرة على نشر عقيدة القومية العربية وقضى شهيداً في سبيلها وعلمه ان يجب العروبة وأن يبذل جهده في خدمتها . وفي هذا الإهداء اعتراف كريم بفضل الشهداء النبلاء وتذكير بما بذلوه من جهد لبلوغ الأمة العربية حريتها واستقلالها ووحدتها .

صميل صليبا

www.alukah.net

المبادئ الشرعية والقانونية

في الحجر والنفقات والموارث والوصية ،

في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني

تأليف الدكتور المحامي : صبحي محمصاني

الطبعة الثانية بيروت ١٩٥٩ م

كنا وصفنا هذا الكتاب الجامع للمبادئ الشرعية في طبعته الأولى في المجلد الثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي وقلنا هو مجموعة من المحاضرات التي أعتها العلامة الدكتور المحمصاني سابقاً لطلاب السنتين الثالثة والرابعة من معهد الحقوق الفرنسي في بيروت والتي لا تزال تلقى على تلامذة السنة الرابعة من كلية الحقوق وفق منهاجها الجديد . وقد قسم مباحث هذا الكتاب إلى الأقسام الأربعة التي جعلها عنواناً له . وكل قسم منها قد اشتمل على عدة أبواب من فروع هذه الأقسام . (فن الأول) الحجر والولاية ، والضر والجنون إلى آخر الأبواب السبعة وأسباب أخرى للحجر . (والثاني) أحكام عامة ، ومنها شروط الوصية وآثارها . (والثالث) نفقة الزوجة والفروع والأصول وذوي الأرحام ، وقواعد عامة في النفقات (والقسم الرابع) يشتمل على ثمانية أبواب كموانع الإرث ، وأصحاب الفروض والمصبات والمول والرد ، وذوي الأرحام وأحكام عامة ومسائل متنوعة ، ووراء كل باب فصول وفروع منسقة ومستوفاة .

وهذه الطبعة الجديدة منقحة من كتاب المبادئ الشرعية ، وقد سميت (المبادئ الشرعية والقانونية) ، وتناول التنقيح بوجه خاص - كما قال الدكتور المؤلف - الأمور الآتية :

- (١) توضيح بعض المسائل التي أظهر الاختبار حاجتها للتفسير والشرح .
- (٢) زيادة بعض المقارنات المستمدة من القوانين البنائية وبعض القوانين العربية الجديدة .
- (٣) زيادة بعض الاجتهادات القضائية البنائية الجديدة لتسهيل فهم المبادئ النظرية على ضوء القضايا العملية .
- (٤) ادخال بعض التعديلات على القانون اللبناني ، وبوجه خاص بحث قانون الإرث والوصية اللبناني لغير المحمدين الصادر عام ١٩٥٩ م .
- قال : وعلى أساس هذه التغييرات الجذرية أعدل بعنوان الكتاب السابق عنوان جديد هو (المبادئ الشرعية والقانونية) للتنويه بالأحكام القانونية الجديدة ، التي صدرت في لبنان في المسائل التي عني بها هذا الكتاب .
- وانك لتجد فيها تخطيطه يراعى الأستاذ المحمدي ، ما امتاز به الفقه الإسلامي على الفقه الغربي من دقة التعبير ، وجمال التصوير ، وموافقة قواعده وشواهد له لكل أمة ، على اختلاف الزمن وارتقاء الأمم ، وتنوع المطالب .
- وكنا نرجو أن نرى المقدمة مبدوءة باسم الله تعالى كما هي عادة الكتاب الشرقيين ، وأن نرى التاريخ الهجري إلى جانب التاريخ الميلادي . أخذ الله بيد الدكتور وزاده إحساناً وتوفيقاً .



كتاب الحوادث والبدع

تأليف أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي

المتوفى بمصر سنة ٥٢٠ - ٥٢٥ هـ

طبعة تونس سنة ١٩٥٩ م

كنا نجلس في حلقة محدث الشام الأستاذ الشيخ بدر الدين الحسيني الشهير ، وكان مما نقلناه عنه رواية ودراية منتخب كنز العمال من كتب الحديث الجامعة ، ولما بلغنا باب الاعتصام بالكتاب والسنة ، سأله بعض الفضلاء : أو يقرآن للعمل بهما أم للتبرك قال أستاذنا : إذا قصدتم العمل بهما كنتم من المتعصمين .

وكتاب الإمام الطرطوشي هذا يهدي إلى العمل ، ويبعد عن الحوادث والبدع ، وينهى عن كل ما تخترعه القلوب ، وما تنطق به الألسنة ، وما تفعله الجوارح ، مما يظنه بعضهم عبادات وقربات وطاعات ، والطاعة في الاتباع ، لا في الابتداع ، وقد أكل الله لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ، ورضي لنا الإسلام ديناً .

وقد حققه الأستاذ الطالبي ، وأشار إلى اختلاف نسخته بدقة وعناية وأنشأ عليه تعليقات مفيدة ، ووضع له في آخره فهرس عديدة ، وترجم لمن ورد ذكرهم في الكتاب ، فبلغ (٢٢٣) صفحة بالقطع المتوسط ، وطبع على أجود الورق ، فجزي المولى المؤلف والمحقق والناشرين أفضل الجزاء .



خطب حمدي عبيد

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 أنشأها واستمدتها من الكتاب والسنة والمجتمع
 ص ٣٠٩ طبع ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م

الأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر ، وهذا نعم النبي والمؤمنين ، قال تعالى في وصف النبي (ﷺ) : « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث » . وقال في وصف الأمة : « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » هذا وإن بني العروبة والإسلام لا تتم مصلحة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر ، فالتعاون جلب المصالح لهم ، والتناصر لدفع المضار عنهم ، وتكون الطاعة للأمر بتلك المقاصد ، والنهي عن تلك المفاصد ، « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » وفي هذه الخطب المفيدة للأستاذ حمدي عبيد العقائد والأوامر ، والزواجر الإلهية والنبوية ، كفواعد الإسلام الخمس ، كالحجة والصحة والتوبة ، وشذرات من تفحفات النبوة ، وكقول الحق والصدق ، وكالتنهي عن الموبقات السبع ، وهي الشرك ، والسحر ، وقتل النفس بغير حق ، وأكل الربا ، ومال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات ، وكل ذلك بأدلة ثابتة من الكتاب والسنة ، وأعمال المجتمع ، وبأسلوب عصري واضح ، وهذا الديوان مشكور شكلاً تاماً ، ومن الخطبة السابقة التي حث فيها الأستاذ عبيد على تحصيل العلم النافع قوله :

« فمن العلوم النافمة التي تؤمن لنا كل ما قدمنا العلوم الرياضية ، والتاريخية ،
والأدبية والاجتماعية ، والجغرافية والاقتصادية ، والسياسية والحربية ،
والأخلاقية والتربوية ، وصائر العلوم الكونية ، وكثنا حثاً على تحصيلها القرآن
الكريم ، وأمر بها الرسول العظيم ﷺ » .

ثم إن من سهو القلم أو الطبع وضع ففتحين على الألف الساكنة في مثل
(منبراً ودفاعاً ومحموداً) ، لأن التنوين عبارة عن تكرير الحركة في الحرف
المتحرك ، والألف اللينة ساكنة ، والفتحة الثانية من حقها أن توضع فوق
الراء والعين والدال من هذه الكلمات المفتوحة الآخر ، ويقاس عليها غيرها
كما لا يخفى .

ولعله يشار في الطبعة الثانية إن شاء الله الى أرقام الآيات وسورها ليسهل
الرجوع اليها ، وتعزى الأحاديث إلى مخرجيها من أصحاب الكتب الستة
وغيرهم ليكون القراء على بصيرة منها ومن شرحها .

هذا مثال من هذه الخطب النافمة الرافعة ، فجزى الله تعالى مؤلفها
خير الجزاء .

محمد بهجة البيطار

حرب صليبية في أوروبا

تأليف دوايت ايزنهاور وترجمة ابراهيم عبود

السلسلة الخامسة من عيون التاريخ العالمي التي نشرها دار البيضة
المريية لتأليف والترجمة والنشر . طبع بدمشق سنة ١٩٥٩ في مجلد واحد
يشتمل على (٢٧٠) صفحة من قطع الوسط ، يتخللها بعض الصور

وهو ترجمة كتاب (Crusade in Europ) لداوي ايزنهاور القائد العام
لجيوش الحلفاء في الجبهة الغربية أثناء المرحلة الأخيرة من الحرب الكونية
الثانية والرئيس الحالي للولايات المتحدة الأميركية . وقد دون المؤلف فيه
مذكراته عن مراحل الفزوة التي قادها ضد جيوش المحور في افرقية الشمالية
وايطالية وفرنسة .

وهو مجل رائع لسير الممارك في هذه الميادين وللأحداث السياسية التي
رافقتها . وكيف انتزع الظفر من جيوش المحور وأرغمها على الانسلاخ
من دون قيد أو شرط ، فبدد بانتصاراته أوهام الزاعمين بأن جيش
المانية لا يقهر .

وكان المؤلف صريحاً في آرائه ، مهذباً بحق أعدائه ، ولم يكتم تخلف
بلاده عسكرياً بالنسبة لاستعداد قوى المحور الهائلة . وانتقد بمنصف همال
القيادة الامركية وضمف جهازها الحربي ، وفشل دوائر استعلاماتها عن مجرى
الأحداث في الدول الاوربية ، مما كلف الحكومة لندارك ما فاتها جهداً
جباراً ، وأعباه مالية ثقيلة حتى ضمنت لنفسها التفوق العسكري وحققت الظفر
لها وحلفائها .

ويحار الفكر بتعليل عنوان هذا الكتاب : (حرب صليبية في أوروبا)
ومفزاء ، فلا تمت الحروب بالصليبية إلا إذا وقعت بين المسيحية وغيرها من
الملل ، كما هو شأن الجهاد عند المسلمين . فأين هي الصليبية في هذه الحرب ،
واختصاص من دين واحد ؟ هل اعتبر المؤلف النازية الألمانية والفاشية
الإيطالية في عداد الملاحدة حتى يبرر قتالهم ؟ فإن صح هذا الزعم فكيف
له أن يفسر تأخي مسيحية الحلفاء وشيوعية السوفييات الملحدة . قاتل الله
السياسة وتلونها ، فانها تدني البعيد ، وتقصي القريب وتجعل من الهدى ضلالاً
ومن الباطل حقاً .

نشكر دار البقظة على حسن انتقاء ما تنشره من عيون التاريخ العالمي
ونتمنى لها المزيد من التوفيق ، ونخص الأستاذ المترجم بأطيب الثناء والتقدير
لإصابته حسن الاداء ، ودقة التمييز ، وأمانة النقل .

جعفر الحسني

آراء وأنباء

انتخاب رئيس المجمع العلمي العربي

عقد المجمع العلمي العربي جلسة في ١٥ تشرين الأول سنة ١٩٥٩ لانتخاب رئيس خلفاً للمرحوم الأستاذ الرئيس خليل مردم بك .
وحضر هذه الجلسة أكثرية الأعضاء العاملين وجرى الانتخاب بطريقة الاقتراع السري ففاز الأمير مصطفى الشهابي بأجماع الأصوات وعلى هذا صدر القرار التالي .

قرار نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة

رقم (٤٠) سنة ١٩٥٩

بتعيين رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

نائب رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على القرار رقم (١٩٥٧) لعام ١٩٥٩ وبناء على المرسوم التشريعي رقم (٩٠) تاريخ ١٩٤٧/٦/٣٠ المتضمن ملاك المجمع العلمي العربي ودار الكتب الظاهرية وتعديلاته .
وبناء على ضبط الجلسة التي عقدها المجمع العلمي العربي في ١٥/١٠/١٩٥٩ التي جرى فيها انتخاب رئيس المجمع العلمي العربي خلفاً للرئيس الراحل .
« يقرر ما يلي »

- ١- يعين الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي عضو المجمع العلمي العربي العامل رئيساً للمجمع العلمي العربي لمدة أربع سنوات .
- ٢- يتقاضى الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي من موازنة المجمع العلمي العربي الباب (١) البند (١) تعويضاً ثابتاً معادلاً لراتب موظفي الدرجة الثالثة من المرتبة الممتازة .

دمشق في ١٥ / ١٢ / ١٩٥٩

محمد عبد الحكيم علي عامر

نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة

أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م

أعضاء العاملون

١ - الرئيس : الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

٩	الأستاذ عارف التكددي	٣	الدكتور امعد الحكيم
١٠	عمر الدين التبوخي	٣	الأستاذ جعفر الحسني (أمين السر العام)
١١	فارس الخوري	٤	الدكتور جميل صليبا
١٣	الشيخ محمد مبهجة البيطار	٥	حسني صبيح
١٣	الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	٦	حكيم هاشم
١٤	محمد كامل عباد	٧	سامي الدهان
١٥	مرشد خاطر	٨	الأستاذ شفيق جبيري

أعضاء المرسلون

(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)		(الجمهورية العربية المتحدة)	
١٠	الأستاذ عباس محمود العقاد	الاقليم الشمالي	
١١	الأستاذ يوسف كحل	١	الدكتور عبد الرحمن الكيالي
١٢	الأستاذ أنيس المقدمي لبنان	٢	الأستاذ عمر ابوريشة
١٣	بشارة الخوري	٣	محمد صليمان الأحمدي
١٤	الشيخ صليمان ظاهر	٤	الدكتور قسطنطين زريق
١٥	الدكتور صبحي المحمصاني	٥	(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)
١٦	عمر فروخ	٥	الأستاذ احمد حسن الزيات
١٧	الأستاذ مارون عبود	٦	الدكتور احمد زكي
١٨	الأب اس. مرجي الدومنيكي فلسطين	٧	الأستاذ احمد لطفي السيد
		٨	خليل ثابت
		٩	الدكتور طه حسين

م (١٠)

- ١٤٥ -

٤٤	الاستاذ آصف علي أصغر فيضي الهند	١٩	الاستاذ قدري حافظ طوقان فلسطين
٤٥	أبو الحسن علي الحسيني الندوي	٢٠	محمد الشريفي المملكة الاردنية الهاشمية
٤٦	عبد العزيز الشيني باكستان	٢١	احمد حامد الصراف العراق
٤٧	يوسف البنوري	٢٢	الدكتور داود الجليبي
٤٨	الدكتور بلاشير (رجيس) فرنسا	٢٣	الاستاذ ساطع الحصري
٤٩	كولان (جورج)	٢٤	طه الهاشمي
٥٠	لاوست (هنري)	٢٥	عباس العزاوي
٥١	ماسه (هنري)	٢٦	الشيخ كاظم الدجيلي
٥٢	ماسينيون (لويس)	٢٧	الاستاذ كوركيس عواد
٥٣	أريري (أ. ج. ٠)	٢٨	الشيخ محمد بهجة الاثري
٥٤	جيب (٠.١٠.٥ ر. ٠)	٢٩	الاستاذ محمد رضا الشبيبي
٥٥	غليوم (الفرد)	٣٠	الدكتور مصطفى جواد
٥٦	ريتر (هلموت) المانية	٣١	الاستاذ منير القاضي
٥٧	هارتمان (ريشارد)	٣٢	الشيخ محمد نور الحسن السودان
٥٨	دبدرنغ (س. ٠) السويد	٣٣	الأستاذ حمد الجاسر المملكة العربية السعودية
٥٩	الدكتور ضودج (بيارد) الولايات المتحدة	٣٤	خير الدين الزركلي
٦٠	الاستاذ فيليب حني	٣٥	علي الفقيه حسن ليبيا
٦١	غومنز (اميليو غارصيا) اسبانية	٣٦	حسن حسني عبد الوهاب تونس
٦٢	الدكتور اشتولز (كارل) النمسة	٣٧	محمد الطاهر بن عاشور
٦٣	الاستاذ موجيك (هانز)	٣٨	محمد البشير الابراهيمي الجزائر
٦٤	ماهلر (ادوارد) المجر	٣٩	عبد الحفي الكثاني المغرب
٦٥	جبراييل (فرنسيسكو) ايطالية	٤٠	عبد الله كنون
٦٦	الدكتور شخت (يوسف) هولاندة	٤١	علال الفاسي
٦٧	الاستاذ بدرمن (جون) الدانيمرك	٤٢	احمد اتش تركية
٦٨	كرسيكو (بوخنا هنتن) فنلاندة	٤٣	الدكتور علي أصغر حكمت ايران
٦٩	رشيد سليم الخوري البرازيل		

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

(ج.ع.م.م. الاقليم الشمالي)	(ج.ع.م.م. الاقليم الشمالي)
٢٣ الاستاذ ميخائيل الصقال	١ الشيخ طاهر الجزائري
٢٤ الشيخ بدر الدين النصاني	٢ = سليم البخاري
٢٥ = راغب الطباخ	٣ = مسعود الكواكبي
٢٦ = عبد الحميد الجابري	٤ الاستاذ الياس قديمي
٢٧ = عبد الحميد الكيالي	٥ = أنيس معلوم
٢٨ = محمد زين العابدين	٦ = جميل العظم
٢٩ اللهكتور صالح قنباز	٧ = سليم عنخوري
٣٠ الشيخ صليمان الأحمدي	٨ = عبد الله رعد
٣١ الاستاذ ادوار مرقص	٩ = رشيد بقدونس
٣٢ الشيخ صعيد العرفي	١٠ = اديب التقي
٣٣ البطريرك مار اغناطيوس افرام	١١ الشيخ عبد القادر المبارك
(ج.ع.م.م. الاقليم الجنوبي)	١٢ الاستاذ معروف الأرنؤوط
٣٤ الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٣ السيد محسن الأمين
٣٥ = رفيق العظم	١٤ الاستاذ الرئيس محمد كرد علي
٣٦ = احمد كمال	١٥ = محمد البزم
٣٧ = احمد تيمور	١٦ = سليم الجندي
٣٨ = احمد زكي باشا	١٧ الشيخ عبد القادر المغربي
٣٩ اللهكتور يعقوب صروف	١٨ الاستاذ الرئيس خليل مردم بك
٤٠ السيد محمد رشيد رضا	١٩ الأب جرجس شلحت
٤١ الاستاذ حافظ ابراهيم	٢٠ = جرجس منش
٤٢ = احمد شوقي	٢١ الاستاذ قسطنطين الحمصي
٤٣ الشيخ احمد الاسكندري	٢٢ الشيخ كامل الفزي
٤٤ الاستاذ احمد خليل داغر	

٦٩	الاستاذ بولص اخوي	لبنان	(ج.ع.م. الاقليم الجنوبي)
٧٠	امين الريحاني	≈	٤٥ الاستاذ داود بركات
٧١	الامير شكيب ارسلان	≈	٤٦ الدكتور امين المملوف
٧٢	الشيخ ابراهيم المنذر	≈	٤٧ الاستاذ مصطفى صادق الرافعي
٧٣	الاستاذ جرجي بني	≈	٤٨ الشيخ عبد العزيز البشري
٧٤	الشيخ احمد رضا	≈	٤٩ الدكتور احمد عيسى
٧٥	الاستاذ عيسى اسكندر المملوف	≈	٥٠ الأمير عمر طوسون
٧٦	فيليب طرازي	≈	٥١ الشيخ مصطفى عبد الرازق
٧٧	الشيخ فؤاد الخطيب	≈	٥٢ الاستاذ انطون الجميل
٧٨	الدكتور نقولا فياض	≈	٥٣ خليل مطران
٧٩	الشيخ سعيد الكرعي	فلسطين	٥٤ ابراهيم عبد القادر المازني
٨٠	الاستاذ نخلة زريق	≈	٥٥ محمد لطفي جمعة
٨١	الشيخ خليل الخالدي	≈	٥٦ الدكتور احمد امين
٨٢	الاستاذ عبد الله مخلص	≈	٥٧ الاستاذ عبد الحميد المبادي
٨٣	محمد اسعاف النشاببي	≈	٥٨ الشيخ محمد الخضر حسين
٨٤	عادل زعيتر	≈	٥٩ الدكتور عبد الوهاب عنان
٨٥	محمود شكري الآلومي	العراق	٦٠ منصور فهمي
٨٦	جميل صدقي الزهاوي	≈	٦١ الاستاذ حسن بيهم
٨٧	معمروف الرصافي	≈	٦٢ الأب لويس شيخو
٨٨	طه الراوي	≈	٦٣ الشيخ عبد الله البستاني
٨٩	الاب انستاس ماري الكرمللي	≈	٦٤ الاستاذ جبر ضومط
٩٠	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر	≈
٩١	الاستاذ محمد الحجوي	مراكش	≈
٩٢	زكي مفاخر	تركية	≈
٩٣	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	ايران	≈
			٦٥ عبد الباسط فتح الله
			٦٦ الشيخ عبد الرحمن سلام
			٦٧ مصطفى الغلاييني
			٦٨ الاستاذ عمر الفاخوري

١١٥ الأستاذ فولد صير (اغناطيوس) المجر	٩٤ الامتاز عباس إقبال	ايران
١١٦ « ماكدونالد (د.ب.) الولايات المتحدة	٩٥ الحكيم محمد أجمل خان	الهند
١١٧ « هرزفلد (ارنست)	٩٦ الامتاز فران (جبرئيل)	فرنسة
١١٨ « سارطون (جورج)	٩٧ « هوار (كلمان)	«
١١٩ « كراتشكوفسكي (أ) الاتحاد السوفياتي	٩٨ « بوفال (لوسيان)	«
١٢٠ « برنلز (ابفيشكين)	٩٩ « مالنجر	«
١٢١ « آسين بلاسيوس (ميكل) اصبانية	١٠٠ « كي (ارتور)	«
١٢٢ « لويس (دافيد) البرتغال	١٠١ « باسه (رينه)	«
١٢٣ « جويدي (اغنازيو) ايطالية	١٠٢ « ميشو بلير	«
١٢٤ « فالينو (كارلو)	١٠٣ « مارسيه (وليم)	«
١٢٥ « غريبني (اوجينيو)	١٠٤ « دوسو (رينه)	«
١٢٦ « مونته (ادوارد) سويسرة	١٠٥ « مرجليوث (د.س.) بريطانية	«
١٢٧ « هس (ج.ج.)	١٠٦ « بفن	«
١٢٨ « كوفالسكي (ت.ب.) بولونية	١٠٧ « براون (ادوارد)	«
١٢٩ « مونزل (الوا) تشكوسلوفاكية	١٠٨ « كرينكو (فريتز)	«
١٣٠ « هورغرينيه (سنوك) هولاندة	١٠٩ « هومل	المانية
١٣١ « اراندوك (ك.ب.)	١١٠ « صاخو (ادوارد)	«
١٣٢ « هوتسما (م.ت.ب.)	١١١ « هوروفيتز (يوسف)	«
١٣٣ « بوهل (ف.م.ب.) الدانيمارك	١١٢ « هارتمان (مارتين)	«
١٣٤ « استروب (ج.ب.)	١١٣ « ميتفوخ (اوجين)	«
١٣٥ « سترمين (ك.ف.ب.) السويد	١١٤ « بروكين (كارل)	«
١٣٦ « صعيد ابو حجرة البرازيل		

« مي »

زرتها في دارها يوم الجمعة في ١٩ آذار سنة ١٩٢٦ قبيل صفري من القاهرة بساعتين ، وكان معي حسين بك الحسيني ، وضغطت على زر الجرس ففتح نافذة من الباب خادم بريدي فسألته عن الآنسة فقال هنا فدفعت اليه بطاقتي فذهب بها اليها وما هي إلا كما ولا حتى عاد مسرعاً وذهب بنا إلى البهو ، واتفق أن كان فوق رأمي يجدار البهو اطار به صورة الآنسة مي تعمدت بها أن تمثل الحدائة الساذجة بنظراتها المرتاعة وإرسال يديها إلى خلف كأنها تريد أن تعتمد على شيء ، ووقفها المشوشة التي يلتبس على الناظر أمرها : أكانت تريد جلوساً من وقوف أم نهوضاً من جلوس ؟ وهكذا فان الآنسة تحاول أن تصور نفسها حدثنة سراهقة بل طفلة ضريرة في مقالاتها وخطبها وكتبتها وحدثتها ، ولكن بمرض التواضع ونكران الذات فيتم لها ما يفتنيه كل امرأة ولكن بلباقة وكياسة .

بعد بضع دقائق من دخولنا إلى البهو ولجت علينا أم الآنسة مي وسلمت علينا مصافحة فذكرت لها اسمي وامم صاحبي ، وشرعنا نتحدث بالأحداث المفترضة كحالة الجو وجمال البلد ، وما أذكر المناسبة التي جعلتها تنوه بكثرة من يرتاد البهو الذي نحن فيه من عليه القوم وامتنطرت إلى ذكر ابنتها الآنسة مي وكثرة شغلها في الإيشاء والخطب فكنت أخفق برأمي وأقول لها : نعم صحيح .

صألتني عن بلدي ، فقلت دمشق قالت وأنا أصلي من حوران وزوجي من لبنان
فقلت ما شاء الله ! قالت لكن زوجي موعوك ملازم فراشه قلت خير إن شاء الله
ولا بأس عليه .

ولم يطل بنا الحديث حتى حانت مني التفاتة فرأيت الآنسة ميأ تجبو بخطي
خرساء ، وقد بلغت نصف البهو فنهضت على قدمي فوقفت مكانها ولوت جيدها
يمينه وعقدت كفيها وقالت والبشر بأتلق على أمرتها (أهلاً وسهلاً شرفت يا بك)
فخطوت اليها ماداً كتنا بديء ودلفت هي نحوي مادة يمتاها وصافحتني بقوة
مرردة كلمات الترحيب وبعد أن عرفتها بصاحبي جلست مواجهة لي .

كان ثوبها زهري اللون قصير الذيل والكمين مفتوح الجيب الى ماتحت
الترفوتين ، وكانت هي في لبسها وزينتها وتصفيف شعرها آخذة بمقتضيات
الكياسة والمودة الأوروبية أو - المواءمة - على رأي الكرملين .

كان أمد الزيارة نحو ساعتين وكان مدار الحديث بها على ما يأتي :

الترحيب والجمالة ومشيء من اللعابة المملوءة خفراً .

• الثورة السورية

• الرابطة الأدبية

• النهضة المصرية

• التملل من الاستثمار الأوروبي

فكان من ترحيبها وجماليتها قولها ان مصر ترحب بي وان أدباءها حريصون
على التعرف بي شخصياً ، وإن كانوا لا يجهلونني وانها صعبدة بلقائي وأطرت رسالتي
شعراء الشام وفصيدي في شوقي وقالت أكل هذا توحى اليك زيارة شوقي

لدمشق الى غير ذلك من أصاليب الخاملة التي تحسن ايرادها النساء أكثر من الرجال .

وكان من دعابتها أن قدمت لي لفافة وأرادت أن تقدم عود نقاب فبادرت اليه قبلها فقالت : دعني أقبسك النار ولا تخف هي نار باردة قلت أنا أحرق نفسي .

ثم سألتني عن كارثة دمشق فقالت بصوت مملوء حزناً وبكاء : (ان كان لا يؤلمك أن تقص علي كيف وقعت الواقعة فحدثني) قالت ذلك وهي مقبلة نحوي بوجهها تفرك كفها بكفها ويقطع مجرى نظرها عني غضباً طرفها كأنما تريد أن تفيض عبرة .

ذاك القول وهذا المشهد بعثا في قلبي من الشجن والأسى والذكريات المحزنة ما فاضت له مقلتي رغم أنني .

قلت نعم يا سيدي من الألم ما قد يفيد ، وأخذت أقص عليها ما شهدته بعيني في الواقعة فكانت تظهر ألماً وحزناً وحناناً واستياءً وتصعد أنفاسها وتقول لا أقدر أن أتصور دمشق خربة محروقة تلك المدينة التي يتثل بها جمال الشرق وجلاله ، وتبعث في نفس الرائي الحرمة والروعة وتمت انقراج أزمة الثورة .

ثم أنت علي ذكر الرابطة الأدبية وفرضتها وأصفت لتقوضها وتساءلت عما إذا كان بالإمكان إعادتها صيرتها الأولى وقالت : مارأيت جمعية ثوثقت رابطة المحبة والولاء بين أعضائها كالرابطة الأدبية .

ثم تناولت حديث النهضة المصرية من وجهتها السياسية والأدبية وأظهرت

عجائبها وتطرفت الى اليقظة الشرقية العامة وقالت انها موجة مازالت
نعظم وتعالى ، ولا بد من أن تفيض على جوانب الشرق فنعم أقطاره كافة
وتعلمت من نسوة الاستعمار الغربي .

وهناك كان ميعاد السفر قد دنا فاستأذنتها بالانصراف فخرجت هي وأمها
مفنا لخارج باب الدار ولا أكتحك أني برحت القاهرة وركبت القطار
ووصلت الى الاسكندرية وحدثتها في مسعبي وشخصها مائل أمام عيني وما أعلم
أن آنسة امتدعت احترامي لها وعجائبي بها كالآنسة مي .

خليل مردم بك



ديوان ابن عنين

تعليق على استدراك

عثر الأستاذ عبد العزيز الميني على نسخة خطية من ديوان ابن عنين ؛
« فيها مقاطع وقصائد وبعض أخبار وروايات » خلت منها الطبعة التي أخرجها
الرئيس السابق الأستاذ خليل مردم بك رحمه الله .

قال الأستاذ الميني : « فصحت عنيتي على تعليقها : - يريد هذه المقاطع
والقصائد والأخبار والروايات - ولم تشعثها ، وضبط شواردها ، وعرض
فرائدها » .

وقد رأينا في بعض هذه القصائد التي نشرها الأستاذ عبد العزيز :
استدراكاً وتعليقاً ، مما أحيينا أن نلفت نظره الدقيق اليها خدمة لهذا الديوان .
جاء في القصيدة التي مدح بها صلاح الدين : الصفحة الـ ٥٨٩ ، المجلد ٣٤
من مجلة المجمع :

يا طالبي العارفات دونكمو ندى ملك الزمان فاعترفوا
(فاعترفوا) بالعين المهمله ، وهي وإن يكن لها وجه ، فقد تكون (اعترفوا)
بالتين المعجمة أوجه .

وبعد هذا :

فما انضم الطامي غواربه ولولا الفيوث المواطل النطفُ
والواو في (ولولا) زائدة خطأ في النسخ أو الطبع :

وبعد :

عليكم منه بابن مكرم تنسح أمواله وتعرف

وقد تكون (تنداح) هنا أولى من تندح ^(١) . وتفترف هنا تؤكد (فاعترفوا)
التي سبق أن أشرنا إليها .
وبعد هذا البيت :

مادونها زائد ولا حرسٌ الى حراها الآمال تختلفُ
وفسر الناصخ أو راوي هذه القصيدة ، لفظة (حراها) ب (نواحيها) .
والنواحي من معاني (الحرا) كما ان من معانيها (الساحة) ^(٢) والساحة هنا أدق
معنى من الناحية) .

كما أن (الوَكْف) في قوله :

أبقى على الدهر من حودائه محوطة لا بناهما الوَكْفُ
فسره ب (العيب) وهو من معانيه ، كما ان من معانيه أيضاً الشدة ، وقد تكون
(الشدة) هنا أطبق في سياق المعنى من (العيب) .

وبلي ذلك قصيدة في مدح صلاح الدين أيضاً مطلعها :

حلومك أرمى من شمام وأرصحُ ومجدك أعلى من (جبال) وأشمخُ
وعلى ما في هذا البيت من ضعف تزبده هذه (الحلوم) ، جمعاً ل (حلم) التي
تصدرت في رأس هذا المطلع . مع هذا ، لا نظن أن ابن عنين يقول :
مجدك أعلى من جبال ، بفضل مجد صلاح الدين على (جبال) وهي نكرة
لا يصح معها تفضيل . فأبي جبال هذه التي مجد صلاح الدين أعلى منها ؟
وقد يكون أصل الكلمة جبل معروف ، بفاضل بينه وبين مجد صلاح الدين ،
كما فاضل في صدر البيت بين حمله أو (حلومه) وبين (شمام) وهو جبل
لباهلة معروف .

(١) يقال : ندح الشيء ، أي وسّمه . والداح الشيء البسط منعماً .

(٢) تقول : ترك مجراه : أي في صاحته . وهي الحراة والحرا .

كأن تكون تمار أو فغار^(١) أو مثلها للموازنة مع شمام .

وبعد هذا

بقيت صلاح الدين فينا مخلداً فانك معها دمت فالردع مفرخ
و (أفراخ الردع) تحتاج في تفسيرها الى تأويل بعيد ، أقرب منه أن تكون
(فالرودع مفرخ) وأفراخ الروع وتفريخه معروف مشهور .
وقد يكون ابدال (الواو) بـ (الدال) من غلط النسخ أو الطبع .

ثم

إذا الحرب حشمتها الحكمة كأنها طهارة قدير في الشتاء ووطبخ
وأولى من حشمتها حشمتها بالشين .

« وحش النار : جمع اليها ما تفرق من الحطب ، وقيل أوقدها ، وحش الحرب
إذا أصمرها قال الشاعر :

تأله لولا أن تحش الطبخ بي في الجحيم حين لا مستصرخ
والطبخ : « الملائكة الموكلون بالعذاب . واحدها طابخ » وقد تكون (كأنهم)
أفضل من (كأنها) .

وفي الصفحة الـ ٥٣٣

ضبط العطف بالضم . وهي أيضاً من غلط الطبع .

وفي الصفحة الـ ٥٢٩ يصف روضة فيقول :

(١) تمار (بالعين المهملة) ، وقيل تمار (بالعين المهملة) والأول أصح . جيل عال .
قال ليبي :

عنت دمرأ ولا يبين مع الأيام إلا برمرم و تمار
والفمار : جيل أيضاً . قال أبو صخر الهذلي :

جيل فماراً لم يك السيل قبله اضربها فيها حباب الشاب

في روضة بالنيربين أريضة موشية ببدائع الإبداع
مخلضة (كذا) وشائع بردها كف الخضيب وأي كف صناع
وقد وضع الأستاذ بعد كلمة (مخلضة) كذا ارتياباً بصحتها . وقد أصاب ،
فالكلمة مغلوطة ، والبيت مكسور ، ولو رددنا (مخلضة) الى ما يجب أن تكون أي
(مخلضة) فنصح اللفظة ولا يستقيم البيت إلا اذا أضيف اليه (نسجت) أو
(حلت) أو ما هو بوزنها ومعناها . . فيصبح البيت :

مخلضة نسجت وشائع بردها كف الخضيب وأي كف صناع
يبقى كف الخضيب على الإضافة والمعروف أنه الكف الخضيب على التعت .
وهو النجم شبه به . وكان ابن عنين جاء به على الإضافة توسعاً منه وتجاوزاً .
والبيت الثاني ورد في طبعة الأستاذ المردبي رحمه الله هكذا :

في روضة نسجت وشائع بردها كف السحاب وأي كف صناع
وهي رواية أفضل من الرواية المستدركة .

وفي الصفحة الـ ٥٩٥

لم أك في ظني مسبئاً به بل أره في الفعل بي محسناً
يجزم أره . وعندئذ يجب عطفها على (أك) في صدر البيت فبستحيل المعنى الى ضده
فلعل الأصل :

(بل كنت في الفعل به محسناً) أو (في الظن) أو (بي ظني) أو
(إن أك في ظني مسبئاً به فانه في الفعل بي محسناً)
أو ما أشبه ذلك .

وفي الصفحة الـ ٥٩٨

فالمك عين خاطئه كأن بها رمداً فكان لما عراها أمداً

والبيت لا يستقيم وزنه مع (كأن بها) ولا مع (بأن بها) التي أوردتها في الحاشية .
ويستقيم الوزن لو قيل :

فالملك عين خاطبته كأنها رمدا فكان لما عراها أمدا

أي (رمداء) مؤنث (أرمد) بحذف المحذوف حذفاً جائزاً للضرورة .

وفي الصفحة الـ ٦٠٠

بالكووس الملاء حشا أيا لا تجربيا (كذا) بالمدام لا علياً

والبيت بصورته هذه مضطرب الوزن بما حمل الأستاذ علي وضع (كذا)

بعد (لا تجربيا) . وهو الى اضطراب وزنه ، فلقى المعنى ، بل هو غير مفهوم .

وقد بقرب معناه ، ويستقيم وزنه اذا قيل :

واجربيا بالمدام لي لا علياً

على نظر فيه

وفي الصفحة الـ ٦٠١

يا أيها المالك المولى الكريم ومن يستحق الملك والدنيا اذا وهبا

والبيت غير صحيح الوزن ، وغريب المعنى ، ان لم تقل لا معنى له . وصوابه :

يستحق الملك والدنيا اذا وهبا

وفي الصفحة نفسها :

واني لا أعجب من زيزب به بحر (?) كيف لا يفرق

فمن تحته بحر (?) واحد ومن فوفه أبحر تدفق

وأعجب من ذا وذا أنه بلامه وهو لا يرزق

والبيتان الأولان غير موزونين ، لذلك وضع الأستاذ علامة استفهام بعد كلمة

بحر . في البيتين . وسياق الكلام يقتضي لفظة بحر وهي علة البيتين ،

ولا يستقيم الوزن الا اذا ضبطت (بَجَرَ) بالتحريك . وهو غير مسموع وكلمة
(يرزق) في البيت الثالث يجب أن تكون (يورق) .

قال المعلق في الحاشية :

هذه الأبيات معروفة للخلوقي الشاعر في طاهر بن الحسين :

والرواية :

عجبت لحراقة ابن الحسين كيف تموم ولا تفرق
الى آخر الأبيات :

والذي نرويه :

عجبت لحراقة ابن الحسين - لا ضرفت - كيف لا تفرق
ولعل هذه الرواية أشعر من تلك .

هذا ما رأيت أن ألفت اليه نظر الأستاذ الميني . وتبقى الموازنة بين الروايتين ،
في النسخة المطبوعة ، وفي النسخة المخطوطة التي استند المعلق عليها .
ورأيه بعد ، الموافق الى الصواب .

عارف النكدي

www.alukah.net

فتاوى لغوية

- ١ -

ما كانت دور القضاء والفتوى لدى سلفنا الصالح للحياة مقنصرة على أحكام الفقه ، فكثيراً ما استفتي الأئمة من القراء والمحدثين والفقهاء في اللغة والأدب وعلوم العربية ، وكان عبد الله بن عباس حبر الأمة يحب الشعر ويحفظه ويرويه ، ويستعين بشعر الجاهلية منه لتفسير غريب القرآن ، وكان محمد بن ادریس الامام الشافعي يحفظ شعر هذيل وغيرها من قبائل العرب ، ويفتي الناس في الدين واللغة والشعر الذي يجيد قوله ، وكان عبد الملك بن قريش الأصمعي ، مرجع الناس في لغة العرب وأشعارهم وأخبارهم يحضر في البصرة مجالس حماد بن سلمة محدث عصره وبأخذ عنه الحديث وأسرار العربية .

ولما ذكرناه على سبيل المثال يسرنا أن نرى دار الفتوى الشامية لا تقتصر على الفقه في فتاويها ، وقد سئل مفتي الإقليم الشمالي الفقيه الحكيم (الدكتور) محمد أبو اليسر عابدين في رسالة إليه أسئلة في الفقه ، وبينها سؤال لفتوى عن اسم (سعاد) أهو مذكر أم مؤنث ؟ فأجاب السائل بما يلي :

أما الجواب على اسم (سعاد) أهو لمذكر أم مؤنث ، فقد قال المحدث اللغوي في القاموس : وسَمُوا صعيداً ومسهوداً ومسهدة بالفتح ومساعداً وسعدون وسعدان وأسعد وصعوداً بالضم . وللنساء سعاد وسعدى بضمهما ، وسعدة وصعيدة بالفتح ، وصعيدة بالضم ومثله في لسان العرب .

وقد اشتهرت قصيدة (بانت سعاد) لسيدنا كعب بن زهير ومراده بها مؤنث قطعاً . مع ما روي أن بُنْدَارَ الاصْبَهَانِي كان يحفظ ثمانمائة قصيدة كل

قصيدة منها بانت سماد ، ذكر السيوطي منها عشرة ، ولم ينقل في واحدة مما قالته العرب استناد الفعل للفظ سماد إلا مؤثراً .

وليس في الصحابة من الرجال من اسمه سماد أصلاً ، وفيهم من النساء اثنتان هما سماد بنت رافع بن أبي عمر بن عائذ بن ثعلبة الأنصارية تكنى أم سلمة زوجة أصلم من حريش فولدت له سلمة . والثانية سماد بنت سلمة بن زهير ابن ثعلبة بن عبيد الأنصارية زوجة حبسة بن صخر بن أمية بن خلفاء بن عبيد . ولا بأس لتقرير قاعدة التذكير والتأنيث بذكر حكاية لطيفة ذكرها النسفي المفسر في تفسيره وهي أن أبا حنيفة سأل قتادة عن صفة نملة سليمان في قوله تعالى : (وقالت نملة) أهي مذكر أم مؤنث ؟ فلم يجبه ، فقال له أبو حنيفة : هي مؤنث لأنها تصلح للمذكر والمؤنث ، فلا بد من فارق كهو وهي ، ولو كانت مذكراً ل قيل قال نملة .

وهذه القصة بظاهرها طريفة يقبلها من يأخذها على علاقتها ، ولكن اذا طبقناها على ما نذكره من قاعدة التذكير والتأنيث بعلم بوضعها ، وعادة المشغوفين بعالم أو صحابي أن يضموا على لسانه قصصاً تبين مدحه وفضله ، أو يضموا أحاديث مكذوبة يقصدون بها رفة قدره ومنزلته وهو في غنى عنها .

وقد ذكرت في كتابي «أغاليط المؤرخين» كثيراً من هذه القصص للموضوعة التي لا شك في كذبها أمثال هذه الحكاية ونهيت على عدم صحتها ، ولم أتبع فيه القصص المتكوك في صحتها لأنها أكثر من أن تحصر .

أما القاعدة في التذكير فهو (ان الأصل في الأسماء التذكير ، والتأنيث فرع عنه ، ولذا استغنى الاسم المذكر عن علامة تدل عليه واحتجاج الفرع الى العلامة) .

أما العلامات فهي التاء والألف مقصورة أو معدودة ، وأكثرها استعمالاً

هي التاء ، ولم يقولوا الهاء لأن التاء أصل عند البصريين لتشمل تاء الفعل الساكنة ، قال ابن مالك :

علامة التأنيث تاء أو ألف وفي أسام قدروا التاء كالكتف
فاذا سمي بالاسم مؤنث حقيقي أنث ، ولو كان اللفظ مذكراً كما لو سمينا
إسراء بخالد أو أحمد ، تقول قالت خالد أو أحمد ، ونمنعها من الصرف للعلمية
والتأنيث ؛ وإذا سمي به مذكراً استغنى عنها ولو كان لفظه مؤنثاً ، حيث يقال :
قال طلحة وأسامة ، ولا يقال قالت طلحة وأسامة .

وما لا يتميز مذكرة من مؤنثه : فان كان خالياً من التاء يجب تذكره
وان أريد به مؤنث كبرغوث تغليباً لجانب المذكر ، وان كان فيه تاء يجب
تأنيث فعله وان أريد به مذكر بلا خلاف ترجيحاً لظاهر اللفظ حيث يقال :
قالت نملة .

وكذا يجب تأنيث ما يفرق بين جمعه ومفرده بالتاء كمنرة وبقرة ، فيقال
هذه منرة وبقرة ولا يقال هذا منرة وبقرة تغليباً لجانب اللفظ أيضاً .
وعليه فتى لم يعرف حال المعنى في الواقع يراعى اللفظ ، فعرف ان الاستدلال
على أن نملة سليمان كانت أنثى بقوله تعالى قالت نملة وهم لادم تميزها ، وكل
ذلك في الحقيقي .

أما المجازي فذو التاء مؤنث جوازاً كبجرة وسجادة وحصيرة ، والمجرد مذكر
وجوباً كحائط وباب وجدار ، الا أن يسمع تأنيثه كأرض وشمس وسماه .
ومن هنا يعلم عدم صحة الحكاية المارة لأنها ما كانت لتغني هذه القاعدة
على فتادة وبهرفا أمثالنا حتى يسكت عنها المشول ، وما كانت لتغني على
أبي حنيفة حتى يجيبه عنها بجواب خطأ مفلوط ، وكلا الإمامين خالط العرب
جنباً الى جنب واشتهرت علومهم في الشرق والغرب ؛ ومن كتاب هذا العصر

وخطبايهم من يتفكهمون بأفاصيص المؤرخين المكذوبة لينتحفوا الناس بتلك الملح ،
 وفيها ما فيها من الدسائس التي قصدها الواضع ، دون أن يتحرروا مصدرها وروايتها .
 أما سؤالكم عن واقعة هل تجمع على وقائع أم وقوعات وأن أيها أصح لفة ؟
 فأقول : قال في لسان العرب « الواقعة الداهية والواقعة النازلة من صروف
 الدهر » والواقعة اسم من أسماء يوم القيامة .
 والواقعة والوقعة الحرب والقتال ، وقيل الماركة والجمع الوقائع ، ووقائع
 العرب أيام حروبها .

والوقائع المنافع ، وعليه قول الفرزدق :

(رشيف الغريربات ماء الوقائع) (١)

والوقيع مناقع الماء ، والوقيمة مكان صلب يمك الماء ، والوقيمة نقرة في
 من حجر في سهل أو جبل يستنقع فيها الماء وهي تصغر وتمظم حتى تجاوز حد
 الوقيمة فتكون وقيطا ، قال ابن أحرر :

الزاجر العيس في الاملبس أعينها مثل الوقائع في انصافها السمل
 وما ذكر يعلم أن علماء اللغة استعملوا لفظ الوقائع جمعا ، ولا مناسبة لجمع
 الواقعة بوقوعات لأن وقوعا مصدر ووقوعات جمع له إن صح جمع المصدر
 كنصرات وضربات ، وفيما ذكر كفاية والله أعلم .

الدكتور أبو اليسر عابدين

المقيم العام للإقليم الشمالي

(١) الضريم فعل من الإبل ، وهو ترخيم أغر ، كفوفك في أحمد حميد ،
 والإبل الضريمية منسوبة إليه .

- ٣ -

أمطار أم مطير
ومسار أم مسير ؟

جاءني من صديق أديب هذا السؤال اللغوي ، ونصه : « ما هو المصدر الميمي أو اسم المكان من العنوان ، وما هي القاعدة في الاشتقاق من الأفعال المعتلة العين ، فقد كثر الجدل حول ذلك بيني وبين إخواني من الكتاب يزعمون أنه لا يجوز أن نطلق (المطار) Aérodrome على مكان الطيريات أو مينائه الجوية^(١) ، لأنه مصدر كالمطاف والمفاش ؛ وهل تقول لمحرك الرصاصة المنطلقة من البندقية الى الهدف : مسار أم مسير ؟

وأجبتة بالجواب التالي شاكرآ له اهتمامه بلغته العربية ، وأي عربة لمن يجهلها ، وكيف يخدم أمته من لا يتقن لغته ؟ وقد أصبحنا في عصر استعجم - إلا من عصم الله - عربيه ، واستعرب عجمه ، ثم رغب السائل الى لجنة مجلة المجمع العلمي العربي بأن تفتح في المجلة باباً خاصاً للاستفتاء اللغوي : إن جوابك هذا اني حاجة الى مزيد من البيان : فان (المطار والمطير ، والمسار والمسير) مشتقة من الأفعال المعتلة العين بالياء ، وهي التي يميى منها مَفْعَل ومَفْعِل بالفتح والكسر للمصادر الميمية وأسماء المكاتب والزمان ، فيقال : مطار ومطير ؟

وأما الأفعال المعتلة العين بالواو كعماد ومطاف ومدار ومزار ، فلا يميى منها شيء من المصادر والأسماء إلا على (مَفْعَل) بفتح العين ، فلا يقال بكسرها :

(١) هي بالفرنسية Port aérien وبالانكليزية Air - port .

معيد ومطيف ومدبر ومنير ، ونزید في إيضاح ذلك وتوكيده بما بينه أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية في كتاب الأفعال^(١) في بحث المصادر الميية قائلاً : « ومنها أسماء مبنية بالزيادة تشبه المصادر في وزنها ، وتخالفا في بعض حركاتها للفصل بين الاسم والمصدر ؛ وتكلم منها على الأفعال المعتلة بقسميها : المعتلة بالياء ، والمعتلة بالواو بقوله : وأما المعتلة بالياء في عين الفعل : فإنما 'ينتهي في مصادرهما والأسماء منها الى الروايات ، لأنهم قالوا : المخيض والمبيت والمغيب والمزويد وهن مصادر ، وقالوا : المفيض مفيض الماء ، والمخيض في الأسماء والمصادر ؛ وقالوا : (المطار) والمثال في الأسماء والمصادر . قلت : فيكون (المطار) على قوله هذا اسم مكان ومصدراً ميمياً بمعنى الطيران ؛ ثم قال مؤيداً ذلك :

ومن الياء من يميز الكسر والفتح فيها (أي المعتلة بالياء) مصادر كن أو أسماء فيقول : الممال والمميل والمغاب والمغيب ، وفي أشباهها كذلك ؛ قلت : أي مثل (المطار والمطير) فلك أن تجعل كلاً منها اسم مكان وزمان أو مصدرأ ؛ وتنقلب الواو والياء ألفاً في مصادر ذوات الواو والياء كما انقلبت في أفعالها كالمقام والمجال والمطار والمثال ، والمقام والأراج في الرباعي ، وكان الأصل في مقام : (مَقَوْمٌ) ، فألقوا حركة الواو على ما قبلها ، ثم انقلبت الواو ألفاً للفتحة التي قبلها : لأن الألف أخف من الواو ، قلت : وهذا في المعتل بالواو ، ومثل للمعتل بالياء بـ (المطار) وكان الأصل فيه (مَطِيرٌ) ، فألقوا حركة الياء على الطاء ، فصار (مَطِيرٌ) ، ثم انقلبت الياء ألفاً للفتحة التي قبلها لأن الألف أخف من الياء .

(١) مطبعة مصر ١٩٥٢ (ص ٤ و ٥) .

واليك ما ذكره صاحب المصباح المنير^(١) وهو خلاصة الباب ، وفصل الخطاب قال : وإن كان معتل العين بانياء ، فالمصدر منتوح ، والامم مكسور كالصحيح نحو : مال تمالاً ، وهذا تميله ، هذا هو الأكثر ؛ وقد بوضع كل واحد موضع الآخر نحو المماش والمعيش ، والمسار والمسير ؛ قال ابن السكيت : ولو فتحاً جميعاً في الاسم والمصدر ، أو كسراً معاً فيهما لجاز لقول العرب : المماش والمعيش ، يريدون بكل واحد المصدر والاسم ، وكذلك المعاب والمميب قال الشاعر :

أنا الرجل الذي قد عبتوني وما فيكم أعياب معاب
وقال :

أزمان قومي والجماعة كالذي منع الرحالة أن تميل تمالاً
أي أن تميل ميلاً ، والرحالة : الرجل والسرّج أيضاً . انتهى .
وجواب سؤالك عن (المطار) في قول أبي يوسف يعقوب بن السكيت الذي قرأته الآن ، فان كلاً من (المماش والمعيش ، والمعاب والمميب ، والمحال والمحيل) يجوز أن تجعله مصدرًا واسماً ، كذلك الأمر في (المسار والمسير) ، فلك أن تجعل (المسار) اسم مكان وتطلقه مثلاً على تحرك الرصاصة Trajectoire ، وهو الخط الذي ترسمه القذيفة أو الرصاصة بين البندقية والهدف ، أو على مسار الكهرباء electrode بين مهيّطها ومصدرها ، ثم يجعل (المسير) مصدرًا بمعنى السير ، وهو أقوم ، والله أعلم .

عز الدين التوضي

تعليق على مقال الساميون ومهدهم

قرأت مقال الأستاذ غريغوريوس بولس بهنام المعنون بالعلاقات الجوهريّة بين اللغتين العربية والآرامية في الجزء الرابع من المجلد الثالث والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي والذي يذكر الساميين ومهدهم استطراداً ، وقرأت تذييل لجنه المجلة على قول الأستاذ ان الباحثين لبسوا متفقين على مهد الساميين الذين انتشروا في جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق ووادي النيل ، وأنا أصوب تذييل اللجنة القائل ان مهد هذه الأرومات هو جزيرة العرب ومنها انتشرت الى الأقطار المجاورة لها شمالاً وجنوباً لأنه مستند الى جمهرة كثيرة من الباحثين ، وأزيد عليه ان من الباحثين الذين يقولون ان الجزيرة العربية ليست مهد الساميين من يجعل هذا القول بالنسبة الى النواة الأولى ، ويقول ان هذه النواة جاءت الى جزيرة العرب وتمت فيها ثم أخذت قبائلها تنساح منها الى الأقطار المجاورة أي ان هذا الفريق يلتقي مع الفريق القائل ان جزيرة العرب هي مهد الساميين على اعتبار أنها منطلق انتشارهم الى خارجها .

وألاحظ من جهة أخرى أن بعض الباحثين الذين يتخفظون في الموافقة على هذا الرأي يتجاهلون أو يهملون دليلاً عرف منذ أواسط القرن الأول قبل الميلاد معرفة يقينية لا تتحمل صراء واستمر يتوالى حقبة بمد حقبة الى يومنا هذا وهو انسحاق قبائل جزيرة العرب في دور العروبة الصريحة من جنوبها وشمالها وسواحلها الى الأقطار المجاورة وغمرها قبل الإسلام ، بلاد الشام والعراق ريفها وباديتها واقامتها الدول والممالك وتسجيلها نشاطاً عظيماً ثم خروجها منذ الفتح الإسلامي

وفيضانها على هذه البلاد ووادي النيل مما حقة بعد حقة الى يومنا هذا بحيث يجوز القول بشيء من الخزم ان هذا قد كانت امتداداً لما كان يجري قبل العروبة الصحيحة بسبب الطبيعة الجغرافية والاجتماعية لجزيرة العرب ومؤيداً لقول القائلين ان جزيرة العرب هي منطلق انتشار الأرومات التي سميت بالسامية والتي كانت تطراً على الهلال الخصيب ووادي النيل منذ أقدم عصور التاريخ ، وان هذا لم يمت موضوعاً تاريخياً قديماً مضى وانقضى وغداً محل تخمين وظن ونفي وإثبات وإعادة وإيداء ، ومهما كان هناك من بعض المباينات فعلماء الساميات متفقون على التشارك الصحيح بين اللغات السامية والأفكار السامية والتقاليد السامية ؟ ولا يمكن أن يكون هذا إلا في حالة التكون في مكان واحد والانطلاق من مكان واحد ، وبلحظ ان بين اللغة العربية الفصحى وبين اللغات العبرانية والسريانية والبابلية والآشورية والكنعانية والمصرية والحبشية خارج الجزيرة ثم بينها وبين اللغات المعنية والسبئية والفتبائية والحضرموتية داخل جزيرة العرب تشاركاً عميقاً في المفردات الأصلية والقواعد ؛ ولا يمكن أن يكون هذا كذلك إلا في حالة الانبثاق من نواة واحدة ومكان واحد مهما كان هناك أيضاً من مباينات ، ولا يتعارض هذا مع احتمال أن تكون النواة الأولى قد جاءت الى جزيرة العرب من أنحاء أخرى آسيوية أو إفريقية ، بل ولا يمنع هذا من أن تكون هذه النواة في أصلها القديم ليست عنصراً واحداً وليست من ناحية واحدة .

هذا ؛ ونستطرد الى القول ان التسمية السامية سواء أكانت حديثة لا ترقى الى أكثر من مئة وخمسين سنة ، أم كما يقول صاحب المقال ان السريان استعملوها منذ القرن الثاني عشر بعد الميلاد ، لا سند لها من علم صحيح ولا آثار قديمة ثابتة ؛ وانما هي مستمدة من انساب سمر التكوين الذي اختلف في تاريخ

كتابه والذي لا يرقى على كل حال الى ابعد من القرن الثاني عشر قبل الميلاد؛ وهذه الانساب تحمل كثيراً من التوقف والكلام الذي يجعل اعتبارها سنداً صحيحاً للتسمية غير وارد أصلاً في مجال العلم ، وأولى أن يكون بدلها اسم « الجنس العربي » فان جزيرة العرب ، بقطع النظر عما كانت تعنيه كلمة العرب ، عرفت بهذا الاسم قبل الفين وخمسمائة سنة على الأقل ، والأمة العربية عرفت بهذا الاسم كذلك في هذا الظرف أو قبله على ما تدل عليه النقوش والمدونات القديمة ، فهذا القدم في التسمية للموطن الذي كان منطلق انتشار الأرومات (السامية) في خارج جزيرة العرب ، والامة التي تمثل التشارك في اللغة والخصائص بين هذه الأرومات ، بل وتمثل صفة الأم لأنها ظلت في هذا الموطن يسوغ تسمية هذه الأرومات بالجنس العربي أكثر مما تسوغه أنساب سفر التكوين كما هو المتبادر ، وقد قال هذا كثيرون من باحثي العرب وجهابذتهم مثل الدكتور جواد علي مؤلف كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام ، وعطية الابراهيمي ورفقاؤه مؤلفو كتاب الأساس للغات والأمم السامية ، والرفاعي ورفقاؤه مؤلفو كتاب معالم الحضارات في الشرق والغرب الخ^(١) .

محمد عزة دروزه

(دمشق)

(١) انظر تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها
و ج ٢ ص ٢٨٧ وتاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولبنون والأساس للأمم
واللغات السامية لعطية الابراهيمي ورفقاؤه ، ومحاضرات في تاريخ العرب لصالح العلمي
ومقدمة في الحضارات القديمة لطفه باقر والفرون القديمة لبريستيد مثلاً .

المصادر

التي اعتمدنا عليها

- ١ - ابن عساکر المتوفى سنة ٥٧١ هـ تاريخ دمشق
- ٢ - أبو زرعة المتوفى سنة ٢٨٠ هـ تاريخ دمشق (مخطوط)
- ٣ - المسمودي المتوفى ٣٤٦ هـ صروج الذهب
- ٤ - ابن جبیر القرن السادس الرحلة
- ٥ - ابن خلکان المتوفى ٦٨١ هـ وفيات الأعيان
- ٦ - الهروي المتوفى ٦١١ هـ الزيارات
- ٧ - عمر كعمالة - عمر كعمالة
- ٨ - ابن عبد الهادي المتوفى ٩٠٩ هـ وطلس المساجد وذيله
- ٩ - البلاذري المتوفى ٢٧٩ هـ فتوح البلدان
- ١٠ - ابن حجر المتوفى ٨٥٣ هـ الإصابة في معرفة الصحابة
- ١١ - أمين البصري (القرن العاشر) تحفة الأنام في فضائل الشام (مخطوط)
- ١٢ - ابن الأثير المتوفى ٦٣٥ هـ أسد الغابة في معرفة الصحابة
- ١٣ - ابن بطوطة (القرن الثامن) الرحلة
- ١٤ - عن الدين بن شداد المتوفى ٦٨٤ هـ الأعلام الخطيرة
- ١٥ - الحسن المهلب المتوفى ٣٨٠ هـ المسالك والممالك (مخطوط)
- ١٦ - العمري المتوفى ٧٤٩ هـ مسالك الأبرار

- ١٧ - ابن كثير المتوفى ٧٧٤ البداية والنهاية
- ١٨ - أبو شامة المتوفى ٦٦٥ الروضتين في أخبار الدولتين
النورية والأيوبية ٦ وذيله
- ١٩ - ابن تفرج بردي المتوفى ٨٧٤ النجوم الزاهرة
- ٢٠ - ابن القلانسي (القرن السادس) تاريخ دمشق
- ٢١ - ابن العماد المتوفى ١٠٨٩ شذرات الذهب
- ٢٢ - ابن طولون المتوفى ٩٥٣ الشمعة المضيئة في تاريخ
القلعة الدمشقية
- ٢٣ - النميمي المتوفى ٩٥٣ المدارس في تاريخ المدارس
- ٢٤ - الذهبي المتوفى ٧٤٨ تاريخ الإسلام



الفصحى

في اليمن والحجاز

لقد صان القرآن الكريم والحديث الشريف اللغة العربية وحفظاها من عبث
العابثين ، وارتقيا بأصاليهما الى القمة من الفصاحة والبيان ، ولولا ذلك لم نتخذ
وقد درج أقرانها ، ولم تأنف ، وقد استخذي سلطانها .

غير أنه فشت في كل قطر عامية باعدت بينها وبين الأصل ، حتى لكنا
نعمل لغة ثانية لانتمعملها دون لغتنا الأصلية ، وتباعد ما بينها حتى كدنا نحتاج
في بعض ذلك الى ترجمان ، كما قال القالي عن الأندلس إذ رأى ابتعاد اللسان ،
وقد بلغ القيروان ، وان الأمر ليسير وقد انتشر العلم إذا صدقت النية ،
وان الفصحى ان أولى مقومات الوحدة ، وقد تبدت باكورتها في الجمهورية
العربية المتحدة التي نرجو أن تكون جامعة لشمل العرب والمسلمين .

وانها لغة القرآن الكريم ولسان الدين الحنيف ، وان الأعاجم من المسلمين
يتمنون أن تكون أصانهم ، واذا حادثونا فانما يحادثونا بها ، واذا ناطقونا
فانما بناطقونا بمحاصنها ، قران بينها وبين الدين متين .

ولقد كان العرب أمة أمية وكانوا أولى اللسن والفصاحة قديماً ، ولا تزال
منهم في الأزمنة المتأخرة طائفة تفصح لنا عن ذلك الرأي وتثبتها بما أثبات :
لقد قرأت في ذيل الخصائص لابن جني (طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة
٥/٢) أن صاحب القاموس ذكر في (عكد) أن باليمن قرب زبيد جبلاً
يسمى عكاداً (وزان سحاب) أهله باقون على اللغة الفصيحة ، قال محققه
الأستاذ محمد علي النجار الأستاذ بكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف : وبقول

السيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس انهم لا يزالون على ذلك الى زمنه ،
وانهم لا يأذنون للغريب أن يقيم عندهم أكثر من ثلاث ليال خوفاً على لسانهم ،
وكانت وفاة الزبيدي سنة ١٢٠٥ هـ وله ترجمة واسعة في تاريخ الجبرتي ،
وقال ياقوت في معجم البلدان في ترجمة (عُكُوْتَان) : وجبلا عكاد فوق مدينة
الزرائب ، وأهلها ياقون على اللغة العربية من الجاهلية الى اليوم لم تتغير لغتهم ،
إذ لم يختلطوا بغيرهم في مناكحة ، وهم أهل قرار لا يظمنون ولا يخرجون .
ولقد سألت القاضي العمري وكيل خارجية اليمن ، لما قدم نحو الأمير البدر
ولي عهدا قبيل محادثات الاتحاد بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة ، إن كان
أهل عكاد لا يزالون على الفصحى وقد مضى على موت الزبيدي (١٧٣) عام ،
فقال : انه استولى السعوديون في حربهم مع اليمن عليها منذ أكثر من عشرين
عاماً ، وانه كان يعرف عنها قبل ذلك أن جل كلام أهلها (٩٠٪ منه) فصيح
معرب ، وان غربياً دخل وعلى عينيه نظارتان فقال لبعض أهلها لصاحبه على
البداهة وهو لا يعرف ما تسعيان : انظر ، على عينيه نظارتان . وذكر لنا في
اليمن راويتين كحماد الراوية يحفظان عشرات الألف من أشعار القبائل بهنواتها ،
مات أحدهما وبقي صاحبه ، وكان الدكتور شكري فيصل حاضراً ذلك المجلس ،
فرغبنا اليه جميعاً أن يسجل محفوظه فانه إن مات مات علمه معه ، فوعدنا ببذل
الجهود في هذا السبيل .

ونقل لي الدكتور أديب الحبال عن الدكتور أحمد الطباع وكانا طبيبين في
الحجاز : ان اعصاباً من بني فهم قرب الطائف قدم يشكو البواسير ، فقال :
إني أنزف دماً قرأها ، قال : وما القراح ؟ قال : الذي لا خاطئة به ،
قال الطبيب : فكأنه المعجم في التعبير ، وليس في الباسور قيع .
ولقد قال لي الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي : إن سائقي السيارات في
بغداد لا يزال في لسانهم من بعض الفصحى ، فهم يقولون للمرأة : تروحين ،

وللجمع : يرحن ، وضم تاء المتكلم فاش في شمالي العراق ، وأعراب باديتها
وبادية نجد لا يزال ما يتعلق لديهم بالبادية فصيحاً معرباً ، وإن أخذ غير ذلك
من التركية والفارسية ، فهم يقولون : الحجرة تَدِي (وفي المصباح : وَدَى
الشيء إذا سال) ، وكثير من غريب ليس لديهم بفريب .

وفي كتاب له صدر مؤخراً اسمه (صور وخواطر) مقال بعنوان (الأعرابي
والشعر) كان نشر عام ١٩٣٩ ، فيه : ان قبيلة يقال لها (السوالم) كانت
تسكن دمشق ففارقتها يوم قتل الوليد بن يزيد الخليفة الأموي ، واكتشف
أمرها في بعض رمال (عالج) عبد العزيز بن سعود الملك السعودي السابق
رحمه الله ، وان فيها العربية المبرأة من العجمة ، والبلاغة التي ما بعدها بلاغة ،
وانه قدم شيخها الى القنصلية السعودية آنذاك فذهب اليه صاحب المقال فاذا
لسان مبين ولغة معربة وأجوبة في اللغة والنحو تذكر بما كان بين الأصمعي
ومن شافه من الأعراب ، وانه كان يروي من الشعر ما قالته العرب لا يجزم
منه حرفاً ، دون المحدثين وقد فشا فيما بلغه اللحن في الأمصار وعمت العجمة
فلا يرضون بروايته إذ أفسد ديوان العرب وجاء بما ينكر في القول ، وان
الأستاذ الطنطاوي ذكر له أبحاثاً لأبي تمام وغيره من المحدثين والمعاصرين ،
فاستحسن بعضاً وانتقد بعضاً ، وأيد ذلك بالحكم من الدليل ، وانه جرى الحديث
بعد ذلك فبين يتلقى العربية اليوم على أهل باريس عاصمة الفرنسيين .

ذلك دليل على امكان العودة الى الفصحى بأعرابها وجميع ما فيها إذا عزم الأمر ،
أنتنا به إبلاغاً للنصح ، فلقد نطق أكراد دمشق بالكردية حيناً من الدهر
ولما يعرفها منهم الكثير ، والله المستعان .

محمد وهيد الجبوري

نصوير المخطوطات

تأسس في دار الكتب الوطنية (الظاهرية) شعبة لتصوير المخطوطات مزودة بأحدث الأجهزة وهي مستعدة لتلبية جميع ما يطلب اليها لتصوير المخطوطات الموجودة في دار الكتب المذكورة .

ما ينشر في المجلة

إن جميع الأبحاث والمصطلحات التي تنشر في هذه المجلة هي على عهد كاتبها ومسؤوليتهم .

www.alukah.net

فهرس الجزء الأول من المجلد الخامس والثلاثين

صفحة

الإبدال القنوي أو الاشتقاق الكبير	٣
المربية بين الفصلى والمامية وكتاب ردناعلى از الفصيح	١٢
نفاة الأطفاه عند العرب (٣)	٢٥
عبرية خليل مطران فى الفزل والنصور	٣٥
نسخة نسة من ديوان ابن عنين (٢)	٤٦
الزجاجى : حياه وآثاره (٤)	٦١
نظرة فى معجم المصطلحات الطيبة الكثير ائفات (٥)	٧٩
مخنارات مما لم ينشر من شعر البحتري (٤)	٩٧
كتاب النفس لابن باجة الأندلسى (٩)	١١٤
البنيس وألفاظ أخرى	١٢٣
للأستاذ عز الدين التنوخى	
الأستاذ عارف النكدى	
للكنور عبد الرحمن الكيالى	
للكنور سامى الدهان	
للأستاذ عبد العزيز الميمى	
للأستاذ مازن المبارك	
للكنور حسنى صبح	
للكنور صالح الأشر	
بتحقق الكنور محمد صفر حسن المعصوى	
للأستاذ عبد الله كنون	

التعريف والنقد

محاضرات عن القومية العربية	١٣٣
المبادئ الشرعية والقانونية	١٣٧
كتاب الحوادث والبدع	١٣٩
خطب حمدي سعيد	١٤٠
حروب صليبية فى أوروبا	١٤٢
للكنور جهيل صليا	
للأستاذ محمد جمعة البيطار	
للأمير جعفر الحسنى	

آراء وأنباء

انتخاب الأستاذ الأمير مصطفى الشهابى رئيساً للجمع العلمى العربى	١٤٤
أعضاء الجمع العلمى العربى فى سنة ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م	١٤٥
الأعضاء العاملون	١٤٥
الأعضاء المرسلون	١٤٥
الأعضاء الراحلون	١٤٧
للأستاذ المرحوم خليل مردم بك	١٥٠
للأستاذ عارف النكدى	١٥٤
للكنور أنى البسر عابدين	١٦٠
للأستاذ عز الدين التنوخى	١٦٤
للأستاذ محمد عزة دروزه	١٦٧
للأستاذ محمد وحيد الجبارى	١٧٢
.	١٧٥